الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

فن الرسالة عند محمد بن محرز الوهراني دراسة فنية موضوعاتية

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
قنوش أحلام
بوغرة خولة

إشراف الدكتور:
علاوة كوسة

السنة الجامعية: 2019/2018م

شكر و عرفان

أول من يشكر و يحمد أناء الليل و أطراف النهار ، هو العلي القهار ، الأول و الأخر ، و الظاهر و الباطن ، الذي أغرقنا بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى ، و أغدق علينا برزقه الذي لا يفنى ، و أنار دروبنا فله جزيل الحمد و الثناء العظيم ، هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده و رسوله "محمدًا بن عبد الله" عليه أزكى الصلوات و أطهر التسليم ، فعلمنا ما لم نعلم ، وحدثنا على طلب العلم أينما وجد.

لله الحمد و الشكر كله أن وفقنا و ألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

و الشكر إلى كل معلم أفادنا بعلمه من أول المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة

ثم أسدي بخالص شكري و تقديري و عرفاني إلى أستاذي الدكتور "علاّوة كوسة" في إرشاده لنا إلى ما فيه الخير و الصلاح.

خولة بوغرة

أحلام قنوش

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على صاحب الشفاعة سيدنا محمد النبي الكريم و على اله وصحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و بعد:

إلى من بسمتها غايتي و ما تحت أقدامها جنتي: أمي الحنونة

إلى من تشققت يداه في سبيل رعايتي : أبي الصبُور

إلى أجمل هدية قدمها لي : إخوتي الأعزاء ، خاصة أختي الصغيرة غفران

إلى كل الصديقات و الزملاء

إلى كل فاه و قلب دعا لي دعوة نجاح

خولة بوغرة

إهداء

إلى من حصد الأشواك ليمهد لي طريق العلم و المعرفة إلى القلب الكبير ، أخص هذا الإهداء والدي أطال الله بقائه

إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها من أوراق الصبر و طرزتها في ظلام الدهر ، أمي الغالية أمد الله في عمرها

إلى إخوتي وفقهم الله في مشوارهم و حياتهم

إلى كل إنسان في قلبي ، إلى كل من علمني حرفًا أصبح سنًا برقهُ يضيء الطريق أمامي.

أحلام قنوش

مقدمة

فن الرسالة من الفنون المعروفة و الراسخة في التراث العربي و قد تناوله الكثير من الدارسين و الأدباء قديمًا و حديثا ومن بين الأدباء الجزائريين الذي اهتموا بهذا اللون من الأدب "ابن محرز الوهراني" ، وقد قلّت الدراسات المتناولة لهذا الفن من رسائل الوهراني فهي شبه معدمة ، وما وجدناه هو دراسات لمقاماته ومنامه الكبير دون رسائله ، على الرغم من أن فن الرسالة عنده طاغي على باقي الفنون و هذا ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع الموسوم بعنوان " فن الرسالة عند ابن محرز الوهراني– دراسة فنية موضوعية"

و قد قمنا بطرح جملة من الإشكاليات في هذا البحث هي:

– ما هو مفهوم الرسالة؟ وما أصنافها؟

– كيف كانت حياة الوهراني؟ وكيف كان أسلوبه؟ و ما هي أثاره الأدبية؟

– ما هي الخصائص الفنية و الموضوعاتية المتناولة في رسائل الوهراني؟

و قد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

أولاً مقدمة ثم مدخل تعرضنا من خلاله إلى مفهوم الرسالة و تصنيفاتها حيث تناولنا فيه مفهوم الرسالة اللغوي و الاصطلاحي و تصنيف الرسالة هذا العنصر الذي قمنا فيه بذكر أهم أنواعها و هي : الرسائل الديوانية ، و الرسائل الإخوانية و الرسائل الوصفية و أخيرًا الرسائل الدينية.

أما الفصل الأول فقد عنوناه ب "ابن محرز الوهراني حياته و أثاره" قسمناه إلى مبحثين المبحث الأول بعنوان " حياة الوهراني وهجرته" تناولنا فيه عنصرين العنصر الأول ميلاده و نشأته ، والعنصر الثاني مسار هجرته حيث هاجر إلى القيروان و صقلية و مصر و بغداد ثم إلى بلاد الشام.

أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان " أسلوبه النثري و أثاره الأدبية ، وقد تناولنا فيه عنصرين أيضًا العنصر الأول تحدثنا عن أسلوبه النثري الذي تميز بالسخرية و الهزل و

التهكم ، و العنصر الثاني تناول فيه الآثار الأدبية لهُ ، حيث تحدثنا عن أهم المخطوطات التي اعتمدها المحققان في تحقيق كتابه " منامات الوهراني و مقاماته و رسائله" و هي أربعة مخطوطات مخطوط اسطنبول و مخطوط القاهرة و مخطوط برنستون ، و أخيرا مخطوط مجموع مقامات و رسائل الوهراني ، بالإضافة إلى اشتهاره بفن المنامات ولاسيما منامة الكبير ، ومن المقامات الأدبية له : المقامة البغدادية ، المقامة الصقلية ، مقامة في شمس الخلافة ، المقامة المسجدية.

أما الفصل الثالث و الأخير فقد كان فصلاً تطبيقيًا بعنوان " الدراسة الفنية و الموضوعية لرسائل الوهراني ، قمنا بتجزئته إلى جزئين ، المبحث الأول خصصناه لدراسة الخصائص الفنية لرسائل الوهراني ، العنصر الأول بعنوان البناء الهيكلي لرسالة ، درسنا فيه الاستهلال و أنواعه التي اعتمدها الوهراني في استهلال رسائله و هو أربعة أنواع: الاستهلال بالدعاء ، و البسملة ، الحمدلة ، و الأبيات الشعرية.

أما في دراستنا لعرض الرسائل أو متنها فقد قمنا بدراسة حسن التخلص وكيف انتقل الوهراني من الاستهلال إلى المتن ، ثم قمنا بدراسة ألفاظ المتن و التي وجدناها متنوعة ، بين ألفاظ مقتبسة من القران الكريم ، وألفاظ عامية ، و ألفاظ غير عربية و هي الألفاظ الفارسية و اليونانية.

و العنصر الثالث كان بعنوان " خواتم الرسائل" وكما ابتدئ الوهراني مكاتبته بالدعاء و البسملة و الحمدلة و الشعر ، فقد جعل لخواتمها أيضًا أنواع ، حيث ختم أغلب الرسائل بعبارة " السلام" و أخرى بالدعاء و الشعر.

كما قمنا بدراسة المحسنات البديعية التي وضعها الوهراني لتزيين و تنميق رسائله كالسجع و الجناس و الطباق ، أما بالنسبة للصور البيانية ، فقد وظف الصور التشبيهية و الإستعارية و الكنائية فأضفت على أسلوبه حسنًا و بهاءًا و وضوحًا وجمالاً ، أما بالنسبة لدراسة الموضوعاتية فقمنا فيها بتناول أهم موضوعات الرسائل و التي كانت أغلبها رسائل إخوانية ، فقد تنوعت بين رسائل شوق و رسائل شكوى و رسائل مدح و رسائل هجاء ، وأخر نوع قمنا

بدراسته كانت رسائل وصفية تناولنا فيه رسالتين هما رسالة بعنوان "عشرة أشياء من أبواب البر" و "رسالة في الطير" على لسان سيدنا سليمان عليه السلام.

و المنهج الذي اتبعناه هو وصفي تحليلي ، ومن أهم المصادر المعتمدة في البحث المدونة المحققة للوهراني و هي " منامات الوهراني و مقاماته و رسائله" و هي المصدر الأساسي أمّا المراجع فقد تنوعت بين تاريخية و أدبية و دينية ، ومن أهم المعاجم المعتمدة في البحث " أعيان العصر و أعوان النصر" لصلاح الدين الصفدي و كذلك كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للشيخ أبي العباس القلقشندي ، بالإضافة إلى معاجم اللغة العربية.

أما بالنسبة إلى الصعوبات التي تعرضنا لها فهي صعوبة فهم كلمات بعض الرسائل فهناك كلمات غير مفهومة وحتى المشروحة منها في الهامش يظهر من خلال تعريفها نقص في الإجتهاد في شرحها و خاصة العامية منها.

و في الأخير ما يسعنا إلاّ تقديم كل الشكر و العرفان لأستاذنا الدكتور "علاوة كوسة" على تواضعه و مجهوده وما قدمه لنا من توجيهات و إرشادات بالرغم من كل الظروف ، ولجميع أساتذتنا جعلهم الله نورًا لنا في دروب الحياة.

المدخل : مفهوم الرسالة و تصنيفاتها

1 – مفهوم الرسالة

أ – المفهوم اللغوي

ب – المفهوم الإصطلاحي

2 – تصنيف الرسائل

أ – الرسائل الديوانية

ب – الرسائل الاخوانية

ج – الرسائل الدينية

د – الرسائل الوصفية

توطئة

الكتابة مظهر من مظاهر الحضارة ، وعنوان من عناوين التقدّم ، كما تُعدّ أعظم مقياس لثقافة الأمة ، و مستوى معرفتها ، حيث لا توجد أمةٌ متحضرة إلاّ و تجدُ الكتابة هي الركيزة : التي تعتمد عليها ، وتبني عليها كل ما يمكن أن تصل إليها تلك الأمة من معارف و منجزات.

و الرسالة نوع من الكتابة ظهرت بظمورها ، وتطوّرت بتطورها ، ومن الضروري الغوص في منابع هذا الفن مع تسليط الضوء على أشهر أنواعها.

1 – مفهوم الرسالة

أ – المفهوم اللغوي

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة رسل : " الرَّسَلُ : هو القطيع من كل شيء ، و الجمع إرسال"

والرَّسَل: الإبل، و القَطِيع بعد القَطِيع ، واسْتَرْسَل إذا قال أَرْسِلْ إِليَّ الإبل أَرسالاً ، ويُقالُ : جاؤوا رِسْلة رِسْلة أَي جماعةً جماعةً.

التَّرسُّل: كالرِّسْل، والتَّرسُّلُ في القراءة والترسيل واحد...أي التحقيق و الترتيل في الكلام ، في تأني ، و بلا عجلة ، و أضاف التَّرسُّل من الرِّسْل في الأُمور والمنطق كالتَّمهُّل والتوقُّر والتَّثَبُّت، وجمع الرِّسالة الرَّسائل.[1]

ويبدو جليا أن المفهوم اللغوي لكلمة "رسالة" عند ابن منظور هو التأني ، دون العجلة ، و التمهل مع التفهم ، كما نستنتج أيضًا أن الرسالة هي كلام متتابع اللفظ ، أي كلام مُرسل غير مقيدٍ بقافية أو سجع.

أما عند الزمخشري ، فجاء في معجمه المحيط في جذر رَسَلَ ما يلي " أرسل الشيء : أطلقه و أهمله ، و يُقال : أرسلت الطائر من يدي ، ويُقالُ أرسلتُ الكلام من غير تقيُّدٍ ، و أرسلتُ الرسول بعثه برسالة ، و يُقال أيضا : راسله في عمله : أي تابعه فيه ، و تراسل القوم: أي أرسل بعضهم إلى بعضٍ رسولاً أو رسالةً.[2]

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي مادة رَسَلَ ، المجلد 3 ، الجزء 17 ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص 1643 – 1644

[2] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المعجم المحيط ، مكتبة الشرق الدولية ، مصر ، ط 4 ، 2004 ، ص 345

و ما نلاحظه من خلال المفهوم اللغوي عند الزمخشري و ابن منظور ، أنّهما متشابهان ، فتعريفهما للرسالة من الناحية اللغوية ارتبط بكون الرسالة استرسالٌ في الكلام من دون قيد ، وتبادل هذا الكلام بين الناس.

و جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي " الرَّسَلُ: القطيع من كل شيء.ج.أرسالٌ ، و الإبل ، أو القطيع منها. ومن الغنم ، وبالكسر : الرفق ، و التّؤدة ، كالرُسلة و الترسُّل ، و ناقة مرسالٌ: سهلة السير من مراسيل ، و تراسلوا : أرسل بعضهم إلى بعضٍ ، و الترسيلُ في القراءة : الترتيل ، و الأحاديثُ المُرسلة : التي يرويها المُحدث إلى التابعي : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يذكر صحابيًّا، و استرسل : أي قال : أَرسَلَ الإبل أرسالاً و إليه : انبسط و استأنس ، و ترسَّلَ في قرائته ، إتأّد ، و المُرسلاتُ : الرياح، أو الملائكة ، أو الخيل"[3]

أما الفيروز أبادي فكانت لفظة الرسالة أو الترسُل لديه : بمعنى التواصل و ذلك من خلال وجود مرسل لها ، كذلك وردت بمعنى الرفق ، و التمهل ، و عدم التسرع .

وقد ذكر قدامة ابن جعفر كلمة الترسل في كتابه " نقد الشر " فقال << و الترسل من ترسلت أترسل ترسلا ، و أنما مترسل ، كما يقال: توقفت أتوقف توقفا ، وأنا متوقف ، ولا يقال ذلكم إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر ، ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة أرسل يرسل إرسالا ، وهو مرسل ، والاسم الرسالة ، أو راسل يرسل مراسلة فهو مراسل " و ذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة وأصل الاشتقاق في ذلك أنه : كلام يراسل به من بعد أو غاب ، فاشتق له اسم الترسل ، والرسالة من ذلك>>

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، تحقيق : مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، ط 8 ، 2005 ، ص 1005.

ومن خلال تعريف لبنى قدامة ابن جعفر ، نستنتج أنه لم يبتعد عن مفهوم التواصل و أركانه لكلمة الترسل ، لأنه أشار إلى كلا طرفين ، و هما المرسل ، والمرسل إليه ، كما أشترط الاشتراك في المراسلة بينهما .

ب – المفهوم الاصطلاحي :

ألف القلقشندي كتابا ضخما في هذا اللون النثري ، وقد ارتبط الترسل عنده بالكتابة فيقول : " صناعة روحانية . تظهر بآلة جثمانية ، دالة على المواد بتوسط نظمها "[4].

فمعنى كلمة " روحانية " هي الألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه و خياله ، فيقوم بتصوير هذه الألفاظ من خلال ضم بعضها إلى بعض حتى تصبح صورة قائمة في نفسه و ذاته .

كما قام بتفسير كلمة " جثمانية" بأنها الخط الذي يخطه القلم ، ويكون مقيدا بتلك الصورة فتصبح بعد أن كانت صورة باطنة في نفسه، إلى صورة محسوسة ، ظاهرة للعلن .

و قد ذكرها في موضع أخر بقوله :" هي جميع رسالة ، والمراد فيها ، أمور يرتبها الكاتب من حكاية حال من عدو أو صيد . أو مدح و تقريض، أو مفاخرة بين شيئين ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى.

و سميت رسائل من حيث إن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال، مفتتحة بما تفتح به المكاتبات، ثم توسعت فافتتحت بالخطب و غيرها" [5]

[4]العباس أحمد القلقشدي : صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، ج 1 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر القاهرة ، 1922 م ، ص51 .

[5] العباس أحمد القلقشدي : صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، ج 14 ، دار الكتب السلطانية ، مطبعة الأميرية ، مصر ، القاهرة ، 1919 م ، ص 138 – 139.

و ما نلاحظه من التعريف الاصطلاحي عند القلقشدي للرسالة، في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " ، إنها قريبة إلى المعنى اللغوي للترسل .

أما عبد العزيز عتيق فيعرفها بقوله :" الرسالة قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر ، تبعا لمشيئة الكاتب و غرضه ، وأسلوبه ، وقد يتخللها الشعر إذا رأى السبب لذلك ، وتكون كتابتها بعبارة بليغة، و أسلوب حسن رشيق ، و ألفاظ منتقاة ، ومعان طريفة " [6]

ومن خلال تعريف عبد العزيز عتيق للرسالة ، نلاحظ أنه أشار إلى شروط الرسالة ، و ما يتوجب على كتابها مراعاته أثناء كتابته لها ، ذكر أنها نوع نثري أدبي ، يطول و يقصر ، و هذا يعود إلى موضوعها و أن أسلوبها يختلف اختلافا كبيرا عن أسلوب الكلام العادي ، و قد يكون فيها تداخل لأجناس أدبية أخرى ، كالشعر مثلا.

كما ورد مصطلح الترسل في المعاجم العربية ، حيث ورد في " المعجم المفصل في اللغة و الأدب" مقترنا في دلالته في الاستعمال بشيئين:

1-" التراسل أو المراسلة أو المكاتبة ، و هي جميعا تدل على التخاطب بلسان القلم ، والترسل بهذا المعنى قديم في آداب الأمم ، و قد عني به العرب عناية خاصة مند أقدم العصور حتى اليوم ، و ابرز ما ذكروه من خواص المراسلة : السذاجة التي تكمن في التزام الفطرة ، و مجانية التكلف ، و الابتعاد عن المغالاة في زخرفة الفول ، و بهرجة الكلام ، و الوضوح و الإيجاز ، الذي يقوم على قاعدة :" خير الكلام ما قل و دل" و الملائمة و هي الانطلاق دائما من مبدأ مطابقة مقتضى الحال ، من حيث مراعاة الكتاب و المكتوب إليه ، و الطلاوة التي تعتمد جودة العبارة ، و تكسو الكلام رونقا و إشراقا .

2- اعتماد النثر المرسل إرسالا غير مفيد بالأسجاع ، وسائر ضروب البديع ، و الزخارف اللفظية ، و ما شابه [7] و من خلال هذا التعريف نستنتج أن الترسل أو الرسالة هو فن

[6] عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، ط 2، 1997 م ، ص 448 .

موجود من أقدم العصور ، و أنه يكون وسيلة للتخاطب ، عرفها العرب مند الأزل ، ووضعوا لها شروطا يجب إتباعها ، كالسذاجة و هي بساطة التفكير ، و الابتعاد عن الإكثار من ألوان البيع دون أن يكون لذلك حاجة فنية ، وان يكون أسلوبها واضحا ، مختصرا ، أو عدم الإطالة فيه ، و موافقة و تناسبه و انسجام الكلام لمقتضى الحال و عذوبة و فصاحة اللفظ ، و حسنه ، وبهائه ، و إشراقه.

2 – تصنيف الرسائل

ننتقل الآن إلى الحديث عن أهم أنواع الرسائل و تصنيفاتها، التي برزت على ساحة الكتابة الأدبية و الفنية.

أ – الرسائل الديوانية أو الديوانيات:

هي عبارة عن خطابات صادرة عن ديوان الحكم ، لهذا سميت بالديوانيات ، أو واردة عليه في شؤون الدولة ، يبعث بها الديوان إلى الخلفاء و الملوك و كبار رجال الدولة كقادة الجيوش و الشيوخ و العلماء.

يعرفها عبد العزيز عتيق " هي التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك ، الذي يوجهها إلى ولاته ، وعماله و قادة جيوشه ، بل و إلى أعداءه أحيانًا منذرًا متوعّدًا ، وقد كان لكل خليفة أو ملك كاتبه الذي يتولى الكتابة عنه في كل مهام الدولة و شؤونها".[8]

---

[7] ايميل بديع يعقوب وميشال عاصي : المعجم المفصل في اللغة و الأدب ، دار العلم للملايين ، لبنان بيروت ، ط1 ، 1987م ، ص 381 – 382.

[8] عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، لبنان ، بيروت ، ط2 ، 1976م ، ص 449

ومن خلال تعريفه نجد بأن الرسائل الديوانية هي رسائل ذات طابع رسمي ، وترجمة واضحة لمواقف سياسية للدولة ، وهذا يدل على أن هذا النوع من الرسالة ، هو أرقى أنواعها ، و أعظمها مكانةً وشأنًا.

وقد عرفها أيضًا شوقي ضيف " كانت تتناول تصريف أعمال الدولة ، وما يتصل بها من تولية الولاة ، وأخذ البيعة للخلفاء ، وولاة العهود ، ومن الفتوح و الجهاد ، ومواسم الحج و الأعياد و الأمان ، و أخبار الولايات وأحوالها ، في المطر و الخصب و الجذب و عهود الخلفاء لأبنائهم ووصاياهم ووصايا الوزراء و الحكام في تدبير السياسة و الحكم" [9]

وقد تعدّدت تسميات هذا النوع من الرسائل ، فنجد بعض الباحثين يطلق عليها اسم الرسالة السياسية لأنها تهتم بالشؤون و الأمور السياسية ، وقد أُطلق عليها أيضا بالرسائل السلطانية ، لما يصدر فيها من أحكام الملك أو السلطان ، و رسائله التي يبعث بها إلى حلفائه ، وأعدائه أيضًا.

وقد كان لكتّاب هذا النوع من الرسائل منزلة عظيمة و رفيعة ، قال القلقشدي: " ليس في منزلة خدم السلطان ، و المتصرفين في مهامه أخص من كاتب الرسائل ، فإنّه أول داخل على الملك ، و أخر خارج عنه ، ولا غنى له عن مفاوضاته في أرائه و الإفضاء عليه بمهامه".[10]

وهذا يدل على المكانة الأدبية و العلمية لكتّاب الرسائل الديوانية ، وبلوغهم درجة من العلم و الثقافة و الأدب ، التي أهلتهم لتولي هذا المنصب العالي.

[9] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، ط 8 ، د ت ، ص 468

[10] أبو العباس أحمد القلقشدي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج1 ، ص 101

ب – الرسائل الإخوانية أو الإخوانيات

يعتبر هذا النوع الثاني من الرسائل الأكثر رواجًا و انتشارًا بين الأدباء ، و عامة الناس ، وهذا النوع يطلق على الرسائل غير الديوانية ، و هي التي يكتبها الناس بعضهم إلى بعض في موضوعات إخوانية : كالتهنئة ، و التعزية ، و البشارة ، و العتاب...وغيرها من أمور الحياة.

يعرّفها القلقشندي بقوله : " الإخوانيات : هي جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان ، جمع أخ ، و المراد المكاتبات بين الأصدقاء". [11] فهذا النوع من الرسائل يتسم بالطابع الإنساني ، فهي حديث موجّه لصديق ، أو عتاب لين رفيق ، أو تعزية ، و مواساة في حزن أو كرب.

يعرّفها عبد العزيز محمد عيسى: " هي نجوى النفس ، و أنشودة الروح ، و الصورة الماثلة الناطقة ، المعبّرة عن وحي الخاطر و حديث الوجدان ، و قد تناولت هذه من الأغراض ما تناول الشعر ، ممّا كان مستعصيا قبل على النثر ، كالعتاب و الاعتذار و المدح و الافتخار و الهجاء و الرثاء و التهنئة و الشوق وما إلى ذلك مما يصور عواطف الأفراد ، ويظهر ما استكن في نفوسهم ، على أسلات أقلامهم نثرًا رقيقًا ، يهتز له القلب ، و يهفو بحسنه الفؤاد" [12] فهي صياغة وجدانية ، معبرة عن ما يختلج النفس من خواطر وما تتأثر به من لذة أو ألم ، وهي تتناول أغراضا شعريّة استعصت على النثر كالعتاب ، والهجاء ، والفخر والتهنئة و الشوق ، تتوارد فيها الخواطر بلا ترتيب ، ولا انتظام ، فتصبح بهذا قطعة فنيّة مؤثرة دافعة إلى استجابة المشاعر لها.

و قد أطلق عليها أحمد الهاشمي اسم رسائل الشوق: " وتعرف برسائل الشوق ، و هي ما دارت بين الأقارب و الأصدقاء ، و أسفرت عن مكنون الوداد ، و سرائر الفؤاد ، و لا حرج

[11] أبو العباس أحمد القلقشدي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج8 ، دار الكتب السلطانية ، 1915 م ، ص 126.

[12] عبد العزيز محمد عيسى ، الأدب العربي في الأندلس ، مطبعة الإستقامة ، القاهرة ، د ط ، 1945م ، ص 76.

على الكاتب إذا بسط فيها الكلام على سجيّتِهِ". [13] و هي رسائل لا يلتزم كاتبها بما يمليه عليه الملك أو الوالي أو السلطان ، لأنّ كاتبها يتمتّع بالحرية المطلقة التي فقدها كاتب الديوان.

كما عرّفها خالد ابراهيم يوسف " هي رسائل شخصية وجدانية ، ذاتية ، ينشئها صاحبها لأمرٍ ما ، في مناسبة ليعبّر من خلالها عن كوامن نفسيّة".[14]

و بهذا يكون طابع هذه الرسائل وجداني ينبع من الذات الإنسانية للتعبير عن المشاعر المتبادلة بين الناس ، وهو ما جعل هذه العلاقات أكثر تماسكًا و ارتباطًا ، وقد استطاعت أيضًا أن تتناول جانبًا كبيرًا من العلاقات الإجتماعية التي تربط بين أفراد المجتمع.

و قد ذكرنا سابقًا أن موضوعات هذا اللون من الرسائل كثيرة، ومتعددة و هي على كثرتها تتدرج في مجموعتين:

1 – الرسائل الإخوانية شبه الرسمية ، و هي التي تحتفظ بالبعد الاجتماعي بين الكاتب و المخاطب ، أي أنّها تلك الرسائل التي يتبادلها الأمير أو الوزير مع من هم دونه في المرتبة الاجتماعية في أمور خاصة.

2 – الرسائل الإخوانية الذاتية ، و هي التي تتناول ما يدور بين الأصدقاء من عتاب ، و شوق ، و عزاء ، وما إلى ذلك من العواطف.[15]

[13] أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب من أدبيات و إنشاء لغة العرب ، ج1 ، المكتبة التجارية ، مصر ، ط 27 ، 1969 م.

[14] خالد ابراهيم يوسف ، النثر العربي أيام المماليك ، دار النهضة لبنان ، بيروت ، ط1 ، دت ، ص 92.

[15] فايز عبد النبي فلاح القيسي ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، دار البشير ، الأردن ، عمان ، ط 1 ، 1989 م ، ص 279.

فالرسائل الإخوانية وسيلة للتواصل بين الأحباب و الأصدقاء ، تختلف موضوعاتها بحسب مقتضى الحال فقد يكون غرضًا اجتماعيًا كتهنئة ، أو تعزية ، أو عتاب ، و قد يكون غرضا سياسيًّا كتهنئة بمنصب.

ج – الرسائل الدينية

ما أحلاها الكلمات الدينية المعبرة التي تذكرنا دائما بالله عز وجلّ ، والرسول صلى الله عليه و سلم ، وتجعلنا نذكر الله دائما و في أي وقت و في أي مكان ، وقد انبثق من الجانب الديني هذا النوع من الرسائل المعروف بالرسائل الدينية أو الوعظية ، " و هي ما أرسله كبار رجال الدين ، و الوعاظ و الزهاد إلى الخلفاء و الأمراء و الأصدقاء أحيانًا لوعظهم ، و توجيههم الوجهة الدينية التي يريدونها ، و إظهار رأي الدين في المشكلات التي أمامهم. وهذا النوع من الرسائل صادر عن عاطفة دينية لا تريد الإفهام و الإخبار فحسب، و إنّما تريد دفع المرسل إليه إلى العمل بما في الرسائل من مواعظ". [16] فهي رسائل تكون مهمتها تأثيرية و إرشادية في نفس المتلقي بشأن أمور دينية، و توجيهه إلى الطريق الصحيح السليم، و تصنف الموضوعات التي تناولتها الرسائل الدينية في ثلاثة أصناف هي :

أ – رسائل التحميدات و التسبيحات : " تلك الرسائل التي تقوم على تمجيد الله عز وجلّ و تقديسه ، و تعظيم الذات الالهية و تنزيهها و لم ينتهي إلينا هدا اللون من الرسائل إلا عددا من الفصول التي كتبها ابن برد الاصغر و أوردها ابن بسّام تحت عنوان فصول له في التحميدات"[17]

هذا النوع من الرسائل يعالج عددًا من الأمور المتعلقة بقوة الله عز وجل، وقدرته على تصريف شؤون الكون المختلفة.

[16] حسين نصار نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2002 م ، ص 105–106.

[17] أبو الحسن علي بسام الشنتيري ، تحقيق إحسان عباس ، المجلد 1 ، دار الثقافة لبنان ، 1997 م ، ص 491.

ب – رسائل الشوق الوجد الديني : لقد أثار الوجد و الشوق الديني إلى زيارة الأماكن المقدسة لونًا طريفًا ، من ألوان الرسائل كما يشير إلى ذلك المقرّي ، في حديثه عن هذا اللون من الرسائل : " أقول : هذا مقام طالما طمحت إليه همم الرجال ، و تسابقت جياد أفكارهم في مضماره بالرؤية و الارتجال ، وسارت أرواحهم مع الرفاق ، و إن قامت الأشباح ، وطارت قلوبهم بالأشواق ، و لم لا و هو سوق تعظم فيه الأرباح".[18]

هذا اللون من الرسائل كان يصوّر الحالة النفسية لأولئك الكتّاب الذين لم يحالفهم الحظ و الظروف لزيارة بيت الله الحرام ، و قبر نبينا صلى الله عليه و سلم و تصف ما يكتبونه من شوق و حنين إلى تحقيق هذه الأمنية العظيمة ، من أمثلتها رسالة ابن الخصال بعث رسالة إلى قبر الرسول صلى الله عليه و سلم افتتحها بمدحه و ذكر صفاته الطيبة و العظيمة ومآثره الكبيرة حيث يقول " إلى الرؤوف الرحيم الرسول الكريم ذي الخلق العظيم ، والحسب الصميم ، و الصفح الجميل ، خطيب الأنبياء ، و إمامهم في اليوم المشهود ، المكين الأمين ، الذي ليس على الغيب بضنين".[19]

ج – الزهد و الوعظ : هذا اللون من الرسائل تلتمس فيه ترغيبًا في الزهد ، و حثًا على الابتعاد عن ملذات الدنيا ، و قد كان هذا اللون " صادرًا في جملته عن روح الإسلام الذي يحث على اتخاذ العبرة و العظة ، و التفكير في الماضي و الحاضر ، و الوقوف على الأحداث ، وسلوك طريق الرشاد ، و التمسك بأهداب الدين ، و الابتعاد عن مناهيه ، و نبذ حياة اللهو و الخلاعة".

[18] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق سعيد أحمد أعراب

[19] محمد تاويت ، الجزء 4 ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، و صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ، ودولة الإمارات ، القاهرة ، 1939 م ، ص 491.

و تعتبر الرسائل الدينية ، وسيلة من وسائل المطالبة بإصلاح المجتمع ، و النصح و الإرشاد و الوعظ ، و تذكير الناس بما يوجههم إلى الصراط المستقيم و يجعلهم يتوبون إلى الله عز وجل و إصلاح مسيرتهم الدينية و الدنيوية.

د – الرسائل الوصفية :

يعد الوصف من أهمّ الموضوعات التي تناولتها فنون النثر و الشعر منذ القديم.حيث لجأ إليه الأدباء في التعبير عن أفكارهم و أرائهم و تجسيد خواطرهم و مشاعرهم ووصفها وصفا دقيقا عميقًا ، و لكن هذا الوصف لم يقتصر على وصف الحالات النفسية و الانفعالية بل تعدّاها إلى وصف الطبيعة الخلابة ، ووصف الرحلات ، وكل ما تقع عليه أعينهم "ويكاد الوصف يكون جزءًا أساسيًّا في جميع أنواع الرسائل ، فلا تخلو منه مكاتبة ديوانية أو اخوانية و قد أصبح الوصف في بعض الرسائل مطلوبًا لذاته ، و هذه الرسائل ما يطلق عليها إسم رسائل الوصف ، أو الرسائل الوصفية. وفي مثل هذه الرسائل يطلق الكاتب لقلمه العنان في التقاط كل فريدة. و تسطيرها في رسالته ، فقد يتخلى بينه و بين ما تمليه عليه أفكاره دون قيود و ضوابط".[20] ومن أمثلتها ، رسالة لأحد الكتاب جاوب بها أبا عامر بن أبي عامر ، و قد كتب إليه يسأله إباحة الخروج له إلى بعض ضياعه للتنزّه في فصل الربيع ، حيث يقول : "وأقبل الربيع بكل حسن بديع ، و أفصحت الطير بعد عجمتها ، و أبدت النواوير غرائب زهرتها ، وكست الورق شجرها ، وغطّت الزروع قدرها ، فلست ترى إلاّ خضرة تسطع ، و ثمارًا تَينُع"[21]

[20] سلامة هليل عيد الغريب ، صلاح الدين الصفدي كاتبًا ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2010 م ، ص 110.

[21] فايز عبد النبي فلاح القيسي ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، ص 247.

و في هذه الرسالة قام بوصف مشاهد الربيع الجميلة ، و إشراقة الأرض ، و نضارة الرياض ، و غناء الطيور ، و اختلاف ألوان الزهور ، و أوراق الشجر ، وما إلى ذلك من خضرة ساطعة ، و ثمارًا يانعة.

و كثرت الرسائل الوصفية بين الأدباء و الشعراء و الكتاب حيث يتخذونها أداة لوصف كل ما يروق لهم من الطبيعة و عناصرها الساحرة ، كأنهارها الجارية ، وحيواناتها الجميلة ، وسحر مناظرها لأن هذه المناظر الجميلة لها أثر بليغ في نفوس الناس ، و تبعث في النفس بهجة و سرور.

الفصل الأول

ابن محرز الوهراني

حياته و أثاره

الفصل الأول: ابن محرز الوهراني حياته و أثاره.

المبحث الأول:حياة الوهراني و هجرته.

أولاً : ميلاده.

ثانيًا : مسار هجرته.

أ – هجرته إلى القيروان.

ب – هجرته إلى صقلية.

ج – هجرته إلى مصر.

د – هجرته إلى بغداد.

هـ – هجرته إلى الشام.

المبحث الثاني:أسلوبه النثري و أثاره الأدبية

أولاً : الأسلوب النثري.

ثانيًا : الآثار الأدبية للوهراني.

1 – المخطوطات المعتمدة في تحقيق كتاب " منامات الوهراني و مقاماته و رسائله"

أ – مخطوط اسطنبول.

ب – مخطوط القاهرة.

ج – مخطوط برنستون.

د – مخطوط مجموع منامات و مقامات و رسائل الوهراني.

هـ – مخطوط الكنز المدفون و الفلك المشحون.

2 – فن المقامات الأدبيّة

3 – فن المنامات و الخطب و الرسائل

المبحث الأول : حياة الوهراني و هجرته

أولاً: ميلاده و نشأته

هناك العديد من الشخصيات الأدبية الجزائرية التي اندثرت في صفحات التاريخ ، فلا نجد سوى نتفًا عنها في بعض الكتب الأدبية التاريخية ، و نستهل هذا على بركة الله بالترجمة لشخصية جزائرية عاش في القرن السادس الهجري ، وهي شخصية مغمورة ، رغم أنها من أهم الشخصيا ت التي يمكن العودة إليها ، و إلى إبداعاتها في دراسة الأدب العربي القديم بالمغرب الإسلامي عمومًا ، و بالجزائر على وجه الخصوص.

الوهراني 575 هـ / 1179 م فقيه من فقهاء الجزائر و أديب من أدبائها في غرب الوطن.

"هو محمد بن محرز الوهراني ، ركن الدين أبو عبد الله ، أديب صناعته الإنشاء ، كان بارعا في الهزل و السخرية، نشأ بوهران و رحل إلى المشرق ، فمر بصقلية ، دخل دمشق في عهد نور الدين محمود بن زنكي، ثم زار بغداد ، وعاد إلى دمشق ، فولى خطابة جامع داريا ، زار القاهرة أيام السلطان صلاح الدين الأيوبـي ، فلقي القاضي الفاضل وعماد الدين الأصفهاني ، و غيرهما ، وعاد إلى داريا ، و توفي بها".[1]

كما ذكر ابن خلكان أيضا فقال : " أبو عبد الله محمد بن محذر بن محمد الوهراني الملقب بركن الدين أحد الفضلاء الظرفاء ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين رحمه الله و فنه الذي يمت به صناعة النشاء، فلما دخل البلاد و رأى ما بها من القاضي الفاضل ، و عماد الدين الأصفهاني الكاتب ، و تلك الحلبة علم من نفسه أنه

[1] عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، لبنان ، بيروت ، د ت ، ص 350

ليس من طلقتهم ، ولا تتفق سلعته مع و جودهم ، فعدل عن طريق الجد و سلك طريق الهزل ".[2]

و قد أكد الكثير من مؤرخي الأدب و التاريخ أن الوهراني نشأ بوهران ، ولهذا نسب إليها ، و لقب بالوهراني ، يقول ابن خلكان:" و الوهراني بفتح الواو ، وسكون الهاء ، و فتح الراء ، وبعد الألف النون ، هذه النسبة إلى وهران ، وهي مدينة كبيرة في أرض القيروان ، بينها و بين تلمسان مسافة يومين و هي على ساحل بحر الشمال"[3].

فالموقع الجغرافي لمدينة وهران ، و قربها من مدينة تلمسان له أثر كبير على الجانب العلمي ، و الأدبي في حياة العلماء ، وقد يكون الوهراني قد تأثر ببعض علماء ، و فقهاء تلمسان ، ولقد شبّ بهذه المدينة (وهران) ، و عاش بها عدد لا يستهان به من رجال الفكر و الثقافة و الأدب ، ممن ذاع صيتهم ، و انتشرت أثارهم عبر مختلف مراحل الحضارة الإسلامية.

أما بالنسبة للعلوم التي تلقها " فقد حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، أو بعضا منه، لا ندري، و تعلم العلوم، و المعارف العربية و الإسلامية و الدينية و اللغوية، حتى تضلع فيها، و برز كما يدل على ذلك إنتاجه الأدبي المتنوع و الغزير، البليغ".[4]

أما بالنسبة لأساتذته ، فلم نجد في الكتب التي اطلعنا عليها شيئا منها سوى أنه عاش معظم عمره في مصر و أقام بالشام في طريقه إلى عاصمة الدولة العباسية بغداد.

و الوهراني يأتي في المرتبة الثالثة لمبدعي المقامات في الأدب العربي بعد الهمذاني و الحريري حيث جمع بين المقامة كفن خاص وبين فن الرسالة و المنامات.

---

[2] أبو العباس : وفيات الاعيان و أنباء أبناء الزمان ،تحقق : إحسان عباس المجلد ، دار الثقافة ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص385 .

[3] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، م1 ، ص 385

[4] يحيى بوعزيز أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، ج2 ، طبعة خاصة ، حسين داي ، الجزائر 2008 ص 138 .

ثانيا: هجرته

أ -هجرته إلى القيروان

القيروان المعروفة بعاصمة الأغالبة ، هي أول المدن الإسلامية المشيدة في بلاد المغرب العربي .

"مدينة عظيمة بافريقية غيرت دهرا و ليس بالغرب مدينة أجل منها". [5] ، كان لها دور استراتيجي في الفتح الإسلامي ، و يطلق عليها الفقهاء "رابعة الثلاث" ، بعد مكة و المدينة المنورة ، و القدس ، و القيروان مند قديم الزمان ، مند الفتح إلى أن خر بها الأعراب ، دار العلم ، وقابلة الطلاب ، ومن أهم المراكز الثقافية ، وأعظمها شأنا ، و التي هاجر إليها الكثير من الأعلام الجزائرية ، و أشهرهم ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، و تبين لنا أن القيروا ن ، كانت مسار هجرته ، وذلك من خلال رسالة بعث بها إلى والدته ، قال فيها :" فإني ما أفكت عندك و لا هاهنا ، دخلت القيروان بكرة و اشتهيت أخد الولاية ضحوة، و أتزوج بنت السلطان عشية، فلم تساعدني المقادير"[6]

فالقيروان أولى المراكز العلمية في المغرب العربي التي قصدها ركن الدين، تليها قرطبة في الأندلس ، ثم فاس في المغرب الأقصى، قصدها أبناء المغرب ، و غيرها من البلاد المجاورة، كما استقدم لها العلماء ، والفقهاء ، و رجال الدعوة من المشرق.

[5] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معلم البلدان، المجلد 4، دار صادر، بيروت، ص 420.

[6] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله: تحقيق : إبراهيم شعلان ، محمد نفش منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا ط 1 ، 1998م

ب – هجرته إلى صقلية

هي أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط ،"مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة قسطنطينية ".[7] خلال معظم تاريخها كانت موقعا إستراتيجيا حاسما ، تمتلك ثقافة غنية ، وفريدة من نوعها ، خاصة فيما يتعلق بالفنون ، و الموسيقى ، و الأدب ، و اللغة ، و العديد من الشعراء ، و الفلاسفة ، والمفكرين ، و الأدباء ، وكانت وجهة الكثير من العلماء و الأدباء ، أمثال ابن رشيق القيرواني و ركن الدين محمد بن محمد محرز الوهراني ، ولكن لم تبين دراسات المؤرخين هجرته إليها ، و لكننا استنتجنا هذا من خلال إحدى مقاماته "مقامة في شمس الخلافة" التي يبين فيها هجرته إليها ، قائلا:" لما اختل في صقلية الإسلام ، و ضعف بها دين محمد عليه السلام ، هاجرت إلى الشام بأهلي و جعلت جلق محط رحلي" [8]

و ما يؤكد أيضا هجرته إلى صقلية ، هو ما كتبه في إحدى مقاماته ، و هي "المقامة الصقلية" ، حيث قال :" دخلت مدينة صقلية في الأيام المتولية ، فرأيتها محافل الأوصاف ، على طريق الإنصاف ، فعشقها شيطاني ، فأقمتها مقام أوطاني ، فحضرت يوما بعض بساتينها مع طائفة من أهل دينها ، و فيهم أبو الوليد القرطبي "[9] و من افتتاحيته هذه ، يبدوا أنه رحل إلى صقلية و هي في حالة من الاستقرار ، و أعجب بها ، و بما رأته عيناه فيها ، و اتصل ثمة ببعض أهل الدين و الفقه، من أمثال القاضي الفقيه أبو الوليد القرطبي.

[7] شهاب الدين أبي عبد الله ياقون عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، المجلد3 ، ص 416.

[8] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 97

[9] المصدر السابق، ص219 .

جـ- هجرته إلى الديار المصرية

هاجر الوهراني إلى مصر بعد ما مر بالقيروان و صقلية " فقد عاش فترة الصراع على الحكم في الغرب الإسلامي كله فشهد سقوط الدولة المرابطية على أيدي الدولة الموحدية"[10]حيث وقعت هذه الدولة (المرابطية) في صراعات مع زعيم الموحدين عبد المؤمن بن علي ، الذي انتصر فيما بعد على الدولة المرابطية، وفي هذه الفترة هاجر الوهراني إلى مصر.

وقد وردت الكثير من الإشارات التي أكدت هجرته إلى مصر فقد ذكره محمد بن يوسف الزياني في كتابه " دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران " قال : أبو عبد الله الوهراني ، و الملقب ب ركن الدين ، ويروى ركن الدين صاحب الرسالة على لسان بغلته للأمير عز الدين موسك ، دخل مصر في حدود السبعين من القرن السادس و اشتهر بالعلم و الأدب و حسن الفهم فكان قد حصل بها من العلوم لبابها [11].

وقد دخل إلى مصر كما ذكرنا في ترجمتها له في عهد صلاح الدين الأيوبي ، و كان الأدب من جملة ما اهتم به الأيوبيين فانتعش على أيامها ، و تبوأ فيه الأدباء مكانة مميزة في بلاط الحكم ، فوقف الوهراني على وجود فطاحل الكتاب و البلغاء ، من أبرزهم القاضي الفاضل (526هـ – 596هـ) الذي كان أحد الأئمة الكتاب ،ووزير السلطان صلاح الدين الأيوبي، و العلماء الأصفهاني الكتاب (519هـ – 597هـ) و غيرهما من رجال الفكر و الأدب .

و قد أوكله صلاح الدين الأيوبي العمل في أحد دواوين الدولة ، نظرا لمقدرته اللغوية ، و البلاغة و الإنشائية ، فكتاباته ، و كل من ترجم لحياته الأدبية أثبث سعته في العلوم اللغوية ، و بأحوال البيان و فنون القول و الإبداع.

[10] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص15.

[11] محمد بن يوسف الزياري : دليل الحيران ، وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، وزارة الثقافة، الجزائر ، ط1.

د- هجرته إلى بغداد

بغداد أو كما و صفها الحموي الرومي البغدادي ب أم الدنيا و سيدة البلاد، عاصمة جمهورية العراق ، بناها الخليفة العباسي المنصور في القرن الثامن الهجري ، و أتخذها عاصمة الدولة العباسية و أصبح لبغداد بعدها مكانة عظيمة ، فكانت من أهم مراكز العلم على تنوعه في العالم ، و ملتقى العلماء و الدرسين لعدة قرون من الزمن ، و لابد أن الوهراني قد سمع بما وصلت إليه بغداد من الشهرة في المجالات العلمية و الأدبية ، لهذا هاجر إليها ، و ما يؤكد هجرته إليها قوله : " لما تعذرت م أربي ، واضطربت مغاربي ، ألقيت حلبي على غرابي ، وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي ، ومن أخلاق الأدب رضاعتي ، فما مررت بأمر إلا حللت ساحته ، و استمطرت راحته ، و لا وزيرا إلا قرعت بابه، و طلبت ثوابه ، ولا بقاض إلاّ أخ ذت سيبه ، وأفرغت جيبه ، فتقلبت بي الأمصار ، وتقاذفت بي الأبصار ، حتى قربت من العراق، و سئمت الفراق ، فقصدت مدينة السلام " [12] و يقصد بمدينة السلام بغداد ، يقال سميت بهذا الاسم لوجود نهر دجلة الذي عرف باسم وادي السلام ، و البعض الأخر ذكرها و قال :" إنما سميت مدينة السلام لان السلام هو الله ، فأرادوا مدينة الله" [13] من أمثال الحموي الرومي البغدادي الذي ذكرناه سلفا في معجمه معجم البلدان ، وفي أثناء وجوده بها ، جالس العلماء ، والأدباء ، و منها ذهب إلى الحج كعادة أغلب القادمين إلى المشرق ، في قوله :" فأرحت نفسي من سلوك الغور و الفج و جلست أنتظر ايام الحج"[14]

[12] ركن الدين محمد بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ص10.

[13] شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، المجلد 1 ، ص456.

[14] الوهراني ، ص10 .

هـ- هجرته إلى الشام

لقد كانت الشام أخر مكان قصده الوهراني ، و استقر تحديدا بدمشق ، في عهد ابو القاسم نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ، الذي لقب بالملك العادل ، كما لقب أيضا بـ ناصر أمير المؤمنين ، و ما يؤكد استقراره بدمشق قول عادل نويهض أنه دخل دمشق في عهد نورالدين محمود بن زنكي و قد وصفه الوهراني في إحدى رسائله ، عندما سئل عنه ، وهو في بغداد، فقال عنه : " سهم للدولة سديد ، و ركن للخلافة شديد ، و أمير زاهد ، و ملك مجاهد ، تساعده الأفلاك و تخدمه الجيوش و الأملاك " [15] ، وقد التحق ركن الدين بدمشق سنة 570هـ ، وقد كان عصر نور الدين محمود بن زنكي (ت 569هـ) " بداية العصر الذهبي الثاني في تاريخ دمشق بعد عصر الأمويين لم تسهد هذه المدينة حقبة أكثر ازدهارا ، و رخاء، و أشد قوة، و أحفل بالأمور الجسام ، و الحوادث الكبار من عهد نور الدين و الأيوبيين "[16]

و في هذه الفترة كانت دمشق قبلة الأنظار ، تهوى إليها أفئدة الناس ، من كل حدب وصوب و لابد أن تكون دمشق بما وصلت إليه في هذه الفترة بابا إستهوته كثير من الشخصيات المغاربية ، والأندلسية :" ومن هؤلاء المغاربة الذين رحلوا إلى دمشق أقاموا فيها محمد بن محمد بن محرز الوهراني" [17]

و استقراره بدمشق في أخر عمره جعله يميل غلى الخطابات الدينية ، حيث عين إماما بمسجد داريا و توفي بما قال ابن خلكان:" أقام بدمشق زمانا ، و تولى الخطابة بداريا وهي

[15] صلاح الدين المنجد: الوهراني ورقعة عن مساجد دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1384هـ ن 1965م ، ص5.

[16] المصدر نفسه ، ص5

[17] صلاح الدين المنجد: الوهراني ورقعة عن مساجد دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1384هـ ن 1965م ، ص4

قرية على باب دمشق في الغوطة ، و توفي في سنة خمسة و سبعين و خمسمائة بداريا، رحمه الله ، و دفن على باب توبة الشيخ أبي سليمان الدارني"[18]

[18] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان م1 ، ص385.

المبحث الثاني: أسلوبه النثري أثاره الأدبية

أولا: الأسلوب النثري

قد لا نجد في الأدب العربي القديم مثيلا لتلك النصوص التي كتبها ابن محرز الوهراني ، والوهراني في كل ما كتب كان يسخر بمرارة و جرأة مدهشة من الناس ، والزمان ، وظواهر الفاسدة، فلم يخرج شيء عن دائرة لسانه السليط اللاذع ، ونقده العميق.

كان أسلوب الوهراني ، أسلوب نثري مرسل ، جاءت كتابته عفوية ، و تتدفق بالحيوية و لما كان " ظريفا حقيق الروح بارعا في الهزل و السخرية ، فقد صب سخريته على كبار علماء دمشق و فقهائها و أطبائها و كتابها ، كالتاج الكندي ، و المهذب ، و ابن النقاش ، والقاضي الفاضل ، والقاضي ضياء الدين الشهرزوري ، والقاضي ابن أبي عصرون ، وغيرهم ، لم يسلم من لسانه و قلمه علماء مصر و رجالها أيضا ، كالخبوشاني ، و ابن مماتي ، فألف رسائل هزلية مختلفة".[19]

و ما يدل أيضا على اتخاذه للأسلوب النثري الهزلي في كتاباته قول ابن خلكان في تعريفه له فقال : " فلما دخل البلاد و رأى بها القاضي الفاضل ، وعماد الدين الأصفهاني الكاتب ، و تلك الحلبة ، علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ، ولا تتفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجد ، و سلك طريق الهزل".[20]

ويفهم من قول ابن خلكان أن ابن محرز الوهراني عدل عن طريق الجد بعد أن لقي القاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني الكاتب ، و من خلال مطالعتنا لأثاره بدت لنا براعته في التهكم و السخرية ، والتصوير الهزلي ، و يبدو لنا أسلوب السخرية لديه ، في و صفه

[19] صلاح الدين المنجد : الوهراني و رقعة عن مساجد دمشق ص 6.

[20] ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بركين خلكان : و فيات الأعيان و أنباء الزمان م1 ص 385.

للقاضي الفاضل ، فقال:" فلم أشعر إلا و الحائط قد انشق ، وخرج منه شخص عجيب الصورة ، ليس له رأس و لا رقبة، و إنما وجهه في صدره ، ولحيته في بطنه".[21]

وربما يكون لجوء الوهراني إلى السخرية ، والهزل و الفكاهة ، غرضه منه إمتاع القارئ ، و الدفع به إلى الضحك ، والترويح عن النفس.

ثانيا : الآثار الأدبية للوهراني

رحل الوهراني تاركا عدة أثار أدبية ، وفكرية ، ومما يدل على ذلك قول الأستاذ يحيى بوعزيز: " خلف لنا مجموعة لا بأس بها من الآثار الأدبية المكتوبة في شكل رسائل ، ومقامات ، ومنامات ، ورقاع ، جُمِعَتْ كلها أو جلها في حياته أو بعد مماته لا ندري ، و تحمل عناوين مختلفة أحيانا رسائل الوهراني و أحيانا منامات الوهراني ، وأحيانا مقامات الوهراني ، وأحيانا منشآت الوهراني ، وأحيانا دليل الترسل ، و أحيانا جليس كل ظرف وهراني". [22]

وحسب رأي الأستاذ يحي بوعزيز فإن هذه الآثار الأدبية التي تركها ابن محرز الوهراني " توجد منها ثلاث نسخ مخطوطة معروفة هي : نسخة دار الكتب المصرية و نسخة أياصوفيا بتركيا، و نسخة مكتبة جامعة برينسون بأمريكا".[23]

و من خلال قول الأستاذ يحيى بوعزيز ، نستنتج أن ابن محرز الوهراني قد خلف منامات ، و مقامات ، و رسائل جمعها و حققها كلها و وضعها تحت عنوان "منامات الوهراني و مقاماته و رسائله" كل من الأستاذ إبراهيم شعلان ، و محمد نفش ، مع مراجعة لي عبد

[21] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 153.

[22] يحي بوعزيز : أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، ص187.

[23] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

العزيز الأهواني عام 1968م ، و قد اعتمد المحققان في إصدار أثار الوهراني على خمس نسخ.

1 – المخطوطات المعتمدة في تحقيق كتاب "منامات الوهراني و مقاماته و رسائله"

أ/ مخطوط إسطنبول : هذا المخطوط الذي إتخده المحققات أصلا في التحقيق من مخطوطات أياصوفيا برقم 4299"[24] واعتمد على النسخة المصورة منه بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

ب/ مخطوط القاهرة : هو بدار الكتب المصرية ، وقد حمل هذا المخطوط عنوان "رسائل الوهراني" وقد قطع المحققان مرحلة كبيرة في تحقيق نصوص الوهراني باعتمادهما على هذا المخطوط ، غير أنهما وجدا به الكثير من التحريف و النقص ، مما أدى بهما إلى الاعتماد في التحقيق على مخطوط إسطنبول لوضوحه، و دقته.

ج/ مخطوط برينستون Princeton بأمريكا : عنوان هذا المخطوط "جليس كل ظريف للوهراني" وهو موجود بمكتبة برنستون بأمريكا ، و في هذا المخطوط نجد العديد من الأغراض النثرية للوهراني فيه المقامة الميافاريقية، و جزء من المقامة الصقلية ، و المنام الكبير و فصوله الهزلية.

د/ مخطوط مجموع مقامات و رسائل الوهراني: هذا المخطوط موجود في مكتبة أحمد تيمور ، بدار الكتب المصرية يحتوي على عدد من رسائل الوهراني كما يضم رسالة لصلاح الدين الصفدي ، ورسالة للقاضي الفاضل ، ومقامة في مدينة حماة لشهاب الدين كاتب الرق.

[24] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله المقدمة.

هـ/ الكنز المدفون و الفلك المشحون: هذا الكتاب ، هو عبارة عن مجموع فوائد ، و حكايات ، و لطائف و أحاديث ، قام بتأليفه شريف الدين يوسف المالكي ، و نسب خطأً "لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة 911هـ ، طبع في بولاق سنة 1871م ، ورد في هذا الكتاب بغلة الوهراني في الصفحة 667 و 668 بعنوان " رسالة على لسان بغلة الشيخ زكي الدين الوهراني للأمير عز الدين موسك"[25] .

2 – فن المقامات الأدبية

إن فنون النثر، وأساليبه كثيرة، ومتنوعة في الأدب العربي، تناولتها أقلام الباحثين و الدارسين قديما و حديثا، مثل: الخطب و الرسائل و التوقيعات، والمناظرات و المقامات، والدعايات...إلخ.

و يعتبر فن المقامة من الفنون النثرية التراثية في الأدب العربي ، كما يعتبر من الفنون النثرية الأكثر جدلا ، نظرا لاهتمام الكثير من الباحثين به، و تعدد الدراسات حوله، و اختلاف أرائهم ، في أصل نشأته.

جاء في المعجم الوسيط: " أقام بالمكث لبث فيه، و اتخذه موطنا ، وقال : في موضع أخر ، المقام موضع القدمين والمجلس ، والمقامة: الجماعة من الناس ، و المجلس ، و الخطبة أو نحوها، أو قصة قصيرة مسجوعة تشتمل على عظة كل الأدباء يظهرون فيها براعتهم" [26]

و بهذا التعريف تكون المقامة قطعة نثرية فنية ، على صورة حكاية قصيرة، تنتهي في مغزاها إلى عبرة ، أو حكمة ، أو طرفة يرويها شخص خيالي لا يتغير ، مثل : عيسى بن هشام عند بديع الزمان الهمذاني ، و الحارث بن همام عند الحريري.

---

[25] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني مقاماته و رسائله ، المقدمة.

[26] إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حماد عبد القادر ، محمد النجار: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية ، اسطنبول ، تركيا ط 2، د ت، ص727-728

و المقامات عند ابن محرز الوهراني فرصيده منها أربعة ، كتب الأولى في بغداد ، والثانية في صقلية ، والثالثة في شمس الخلافة ، وكتب مقام على لسان جامع دمشق و تعرف بالمقامة المسجدية.

1/ **المقامة البغدادية** : من خلالها حاول الوهراني أن يسرد بعض المسائل السياسية المتعلقة بمجال الحكم حيث تحدث عن سيرة عبد المؤمن بن علي ، و آل أيوب.

2/ المقامة الصقلية : وقد حاول في مقامته هذه ان يمدح بعض الرجال في أحد المجالس ، منهم أبو الوليد القرطبي ، قال عنه ابن محرز الوهراني في هذه المقامة: "سلطان الكلام يأمره فيوالفه ، و ينهاه فلا يخالفه".[27]

3/ مقامة في شمس الخلافة: تدرج فيها الوهراني ضمن إطار النقد الاجتماعي ، حيث أزال الغطاء عن ظاهر الاختلال بالقيم الدينية ، و الاجتماعية ، حيث تمثلت في إدعاء الكثير من الناس التفقه في الدين بغير علم، وجعل من شمس الخلافة رمزا حيا لهذا النوع من الناس ، كما تعرف هذه المقامة أيضا بالمقامة الدمشقية.

4/ المقامة المسجدية : هذه المقامة انتسبت إلى شخصياتها الدالة على علامة مكانية مقدسة، " عرض فيها الوهراني تعريفا لاذعا بموقع المعالم الدينية و علماء الدين ، و صلتهم بالحكم ، وقد أجراها الوهراني على لسان جامع دمشق " [28] ، حيث جعل من هذا الأخير لسان حال مساجد دمشق ، و ما حولها ، قصته مساجد الكورة شاكية إليه ظلم و إهمال ابن أبي عصرون لها ، و قد إستهلها الوهراني بقوله " كما تحكمت يد الضياع ، في مساجد الضياع ، و أرتج باب العدل و أغلق ".[29]

[27] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : مقامات الوهراني و مناماته ورسائله ، ص 219.

[28] عمر بن قينة : فن المقامة في الأدب العربي ، ص 27

[29] صلاح الدين المنجد : الوهراني و رقعة عن مساجد دمشق ، ص 219.

3 – فن المنامات و الخطب و الرسائل

لقد ابتدع ابن محرز الوهراني المنامات الأدبية ، وقد اشتهر بمنامه الكبير الذي حاكي فيه " رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري ، قال عنه ابن خلكان : " و عمل المنامات و الرسائل المشهورة المنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس ، وفيها دلالة على خفة روحه، ورقة حاشيته و كمال ظرفه ، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، فإنه أتى فيه بكل حلاوة ، ولو لا طوله لذكرته".[30]

وقال عنه صلاح الدين الصفدي : " المنام الذي عمله سلك فيه مسلك أبي العلاء المعري في رسالة الغفران ، لكنه ألطف مقصدا ، وأعذب عبارة" [31]حيث جعل ابن محرز الوهراني من رسالة الغفران لأبي العلاء المعري قاعدة انطلق من خلالها في سرد منامه الذي تصور فيه الوهراني أنه بعث إلى يوم المحشر ، و تخيل أنه رأى في منامه كأن القيامة قامت ، ومما جاء في هذا المنام قوله : " المنادي ينادي هلموا إلى العرض على الله تعالى ، فخرجت من قبري ، أيهم الداعي إلى أن بلغت أرض المحشر" [32]

كما كتب الوهراني أيضا خطبة على لسان المأذنة ، وهي ما تدل على المقومات الشخصية للوهراني و الهوية الدينية ، وتمسكه بالسنة النبوية ، وما تحمله من قيم عظيمة ، و ما يدل على ما قلناه ، هو بدأ الوهراني خطبته بالحمد و الشكر لله تعالى قائلا : " الحمد لله الذي شرف الحكم بمجلس سيدنا القاضي صدر الدين ، وجمله بإمام المهتدين ، وطهر منصبه

[30] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان وفيات الاعيان و أنباء أنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس م1، دار صادر بيروت ، د ط ، د ت ، ص385.

[31] صلاح الدين الدين خلال بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفايات ، تحقيق أحمد الأرناطؤوط ، تركي مصطفى ، ج 4 دار الإحياء و التراث العربي لبنان ، بيروت ، د ط ،2001 م ، ص 273–274.

[32] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 23 .

من أحكام الملحدين ، أحمده حمد مظلوم أوصله الله إليه ، وأنصفه من خصمه بين يديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شريك له شهادة مؤمن".[33]

و افتتاحه الخطبة بالحمدلة و الشهادتين هو من خصائص الخطابة في العصر الإسلامي و تعتبر هذه الخطبة الوحيدة التي كتبها الوهراني ، و التي وجدناها في كتابه " منامات الوهراني و مقاماته ورسائله" و أما بالنسبة للرسائل فقد طغت على فنونه ، و اتخذت طابعا خاصا في الموضوعات و البناء.

ومن خلال ما تقدم نستنتج أن أثار الوهراني تنوعت ، و تعددت ، حيث برز في فن المقامات و الرسائل و المنامات ، والخطبة ، وقد وجد المحققان إبراهيم شعلان ، و محمد نغش صعوبة في جمعها ، لان هذه الآثار توزعت ، و تناثرت شرقا و غربا ، حيث عثر على بعضها بالقاهرة ، و البعض الأخر في تركيا ، و أمريكا ، و ربما يعود السبب في هذا إلى كثرة الترحال ، وعدم استقرار الوهراني في مكان واحد ، حيث ذكرنا سابقا أنه هاجر إلى عدة بلدان ، إلى القيروان ، وصقلية ، و بغداد ، ومصر ، وبلاد الشام ، حيث طاف حواضر ، و مماليك الدولة الإسلامية ، كذلك تأثر بالوقائع السياسية ، لأنه عاش فترة الصراع على الحكم ، وسقوط الدولة المرابطية على يد الموحدين و هذا ربما ما جعل أثاره ، وأدبه يتأثر ، لأن الصراعات السياسية كما هو معروف تؤدي إلى ضياع الكثير من الوثائق ، و المكاتبات ، والرسائل ، وكذلك المخطوطات النادرة.

وأيضا إخفاء بعض ملاك المخطوطات لأثاره ، مثل مخطوط مجموع مقامات و رسائل الذي كان موجودا بمكتبة أحمد تيمور ، بدار الكتب المصرية ، لكنه اختفى حينما أراد المحققان العودة إليه لوصفه.

[33] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص95.

الفصل الثاني

الدراسة الفنية و الموضوعاتية

لرسائل الوهراني

الفصل الثاني: الدراسة الفنية و الموضوعاتية لرسائل الوهراني.

المبحث الأول:الخصائص الفنية لرسائل الوهراني.

- **أولاً : البناء الهيكلي للرسالة .**

أ – الاستهلال.

أ – 1 : الاستهلال بالدعاء.

أ – 2 : الاستهلال بالبسملة.

أ – 3 : الاستهلال بالحمدلة.

أ – 4 : الاستهلال بالشعر.

ب – المتن.

ب – 1 : حسن التخلص.

ب – 2 : بنية الألفاظ.

أ – الألفاظ الدالة على الحالة النفسية.

ب – أثر القران في الألفاظ.

ج – الألفاظ العامية.

د – الألفاظ الغريبة الغير عربية.

د – 1 الألفاظ الفارسية.

د – 2 الألفاظ اليونانية.

ج – خواتم الرسائل.

ج – 1 الختام بعبارة السلام.

ج – 2 الختام بالدعاء.

ج – 3 الختام بالشعر.

- **ثانيًا : المحسنات البديعية.**

أ – السجع.

ب – الجناس.

د – الطباق.

- **ثالثًا : الصور البيانية.**

أ – الصور التشبيهية.

ب – الصور الاستعارية.

ج – الصور الكنائية.

المبحث الأول : الخصائص الفنية لرسائل الوهراني

لكل نوع من الأنواع الأدبية صفاته، و خصائصه، التي تميزه عن باقي الأنواع الأخرى، وكذلك الرسالة. فلها مميزات و سمات تميزها عن المقامة ، و الخُطبة ، والرواية ، ومن مميزاتها بناؤها الهيكلي ، الذي يعد المنهجية المتبعة في كتابتها ، كما أنها تتميز أيضا بألفاظها البعيدة عن التملق ، كما تحتوي على محسنات بديعية ، تزينها و تُخرجها في أبهى صور.

1 – البناء الهيكلي للرسائل

و كما هو معروف أن الرسائل لم تتقيد ببناء واحد ، بل تختلف الرسالة بحسب طابعها ، سواءًا أكانت رسمية أو شخصية ، فما هي مميزات البناء الهيكلي لرسائل ابن محرز الوهراني ؟.

ينقسم البناء الهيكلي للرسائل كما هو معروف إلى ثلاثة أقسام:

أ +الاستهلال

الاستهلال ، أو كما هو معروف أيضا بالمقدمة ، أو المطلع ، أو الابتداء ، أو الافتتاح ، وهو " أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من الكلام ، إن كان فتحاً ففتحاً ، وإن كان هناء فهناءً ، أو كان عزاءً فعزاءً، وهكذا".[1]

فالاستهلال يعتبر أحد عتبات النص ، التي تشد انتباه القارئ ، وقد كان ابن محرز الوهراني على علم بما تقتضيه أحكام ، وشروط كتابة الرسائل ، ومن براعة الاستهلال ، وحسن الافتتاح ، قال ابن الأثير :

[1] أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، ص 38.

"أما براعة الاستهلال : هو أن تبتدئ بفاتحة الكتاب الذي تكتبه بكلام مخترع يكون دالاً على كافة الكتاب " [2] ، وقد انبثق من هذه الصيغة براعة الاستهلال ، و خصمها أهل البلاغة ابتداء المتحدث بمعنى يريد تكميله.

وقد تنوعت الاستهلالات في الرسائل ، فمنها ما يفتتح بالدعاء ، ومنها ما يفتتح بالبسملة و أخرى بالحمدلة ، و منها ما يكون مطلعه أبياتا شعرية.

أ/1 – الاستهلال بالدعاء

يكون الدعاء في مستهل الرسالة على أضرب متنوعة ، وصالح لفظية ، لا تعد و لا تحصى و قد يدلُ الدُعاء المستفتح به على التأييد :" إما طول البقاء ، كما كتب عبد الله بن طاهر أطال الله بقاء سيدي الأعلى و مفرعي في الجلى ، متمة عليه النِعم ، ميسرةٌ لديه الهمم".[3]

و إما يكون هذا الدعاء بالبقاء المجرد ، كما كتب أبو محمد بن عبد البر إلى بعض أرباب الأقلام :

" أبقى الله الشيخ في عزةٍ ، تالذة طارفه، و سعادة لا تزال طارقة بكل عارفة ، ولا زال قاصدة مخيما من رفده بروض ناضر، و محموماً من مجده على مسرة سمع و قرة ناظر".[4]

وإما أن تستفتح الرسالة بالدعاء للمحضرة، كما كتب أبو زيد الفازازي : "أبقى الله حضرة السيد ناضرة أدواح السعد ، عاطرة أفواه المجد ، سالكة أنواع الجد ، صائبة سهام الجد"[5]

و من خلال إطلاعنا على رسائل ابن محرز الوهراني ، لاحظنا استفتاحه بدعاء طول البقاء هو الذي طغى على معظم رسائله ، فقد طغت عبارة " أطال الله بقاءك " حيث قام بتوظيفها في ثمان رسائل:

---

[2] ضياء الدين بن الأثير : المفتاح المنشأ الحديقة الانشاء ، تحرير عبد الواحد حسن الشيخ ، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية ، ط1999،1م ،ص98–99.

[3] ابو العباس أحمد القلقشدي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء 8، ص149.

[4] المصدر نفسه ،ص 149

[5] المصدر نفسه ،ص 150

– **الرسالة الأولى** : هي رسالته إلى الشيخ العليمي في منامه ، التي قال فيها : " أطال الله بقاءه ، و جعل خادمه من كل سوء وقاه ، فكان ألذ من النار في عين المقرور ، و أعذب من الماء البارد في صدر المحروم".[6]

– **الرسالة الثانية** : هي رسالة على الأمير نجم الدين بن مصال ، قال : " كتب هذه الأحرف عبد مولاي المفضل الأمير نجم الدين علم المسلمين ، أطال الله بقاءه ، و جعله من كل سوء فداه".[7]

– **الرسالة الثالثة** : هذه الرسالة كانت جوابه إلى التاج الكندي وهو تاج الدين الكندي أبو اليمين زيد ابن الحسين بن زيد بن الحسن بن السعيد الكندي ، قال بن محرز الوهراني في مطلعها: " و صلت رقعة مولاي تاج الدين أطال الله بقاءه ، بلفظ أحسن من نور تفتحه الصبا ، و خط كبياض العطايا في سواد المطالب".[8]

– **الرسالة الرابعة** : هي رسالته إلى مجد الدين بن المطلب وزير تقي الدين ، استهلها بقوله: "عبد مولاي الوزير الأجل السيد الفاضل الأوحد مجد الدين شرف الإسلام (شمس الخلافة بهاء الملة ، أوحد الرؤساء ، سيد العراقين) أطال الله بقاءه ، و أدام علاه".[9]

– **الرسالة الخامسة:** رسالة كتب بها بن محرز الوهراني إلى الأمير شمس الدين ابن الوزير البعلبكي مما جاء فيها :"كتب عبد مولاي شمس الدين ، و سيد المرسلين ، في هذه السنين أطال الله بقاءه".[10]

---

[6] ركن الدين محمد بن محمد محرز الوهراني : الوهراني و مقاماته ورسائله ، ص17

[7] المصدر نفسه ، ص75.

[8] المصدر نفسه ، ص 132.

[9] المصدر نفسه ، ص 152

[10] المصدر نفسه ، ص 161

– **الرسالة السادسة:** هذه الرسالة بعث بها الوهراني إلى الأمير شمس الدولة بن المنقذ، افتتحها بقوله: "الأمير شمس الدولة ، أطال الله بقاءه يوجد بالتسويف ، دون التشريف".

– **الرسالة السابعة** : هي رسالة إلى البدر صاحب ضياء الدين ابن الشهروزور ي رحمه الله قال في بدايتها :" كتب هذه الأحرف عبد مولاي الشيخ الفقيه الإمام العالم الزاهد الأمين بدر الدين ،لسان المرسلين حواري الرسول و صديقه و مؤنسه في داره و رفيقه ، أطال الله بقاءه ، في عيش مخضود"[11]

– **الرسالة الثامنة:** هي رسالته إلى القاضي الفاضل رحمه الله ، مما جاء فيها ، قوله : " مجلس مولانا القاضي الأجل الفاضل ، أطال الله بقاءه مجلس قضاء و تنفيذ".[12]

كانت هذه ثمان رسائل ، من رسائل ابن محرز الوهراني التي استهلها بصيغ ة " أطال الله بقاءك " ، وإذا عدنا إلى القدماء ، من صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم ، نجد أن أول من استخدم هذه العبارة ، هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وما لاحظناه في هذه العبارة ، هناك رسالتين كانت عبارة الدعاء فيها جملة اعتراضية: رسالته إلى شمس الدين البعلبكي ، ورسالته إلى القاضي الفاضل .

" و يكون الدعاء في الرسائل في شكل جمل اعتراضية تفيد التعظيم و التوفير و الدعاء بتحقيق الفوز و النصر و العون و إطالة العمر" [13] و هذا الدعاء الاعتراضي هو ضرب من ضروب المجاملة ، ورسم من رسوم المخاطبة.

---

[11] ركن الدين محمد بن محمد محرز الوهراني : منامات و مقاماته و رسائله ، ص182.

[12] المصدر السابق ، ص 211

[13] غانم جواد رضا الحسن : رسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة في العراق و المشرق الإسلامي ، دار الكتاب العلمية ، لبنان بيروت ،ط1، 2011م ،ص 204.

ومن عبارات الدعاء أيضا ، التي استهل بها الوهراني بعض رسائله عبارة " أدام الله ظله " في رسالة أخرى إلى القاضي الفاضل و تقي الدين كذلك أورد عبارة "أدام الله سعادته" في رسالة أيضا إلى القاضي الفاضل كما وردت عبارة " أطال الله " في كتابه إلى قاضي الفاسقين و هو بمصر عن نائبه بدمشق يخبره بما صارت إليه الأحوال بعد توجهه إلى الديار المصرية ، كما وظف صيغة الدعاء" أدام الله أيامه و حرص إنعامه " عندما أرسل رسالة إلى الملك صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ، وعبارة " أدام الله علوه" عندما بعث رسالة إلى صديق له بدمشق ، كما وظف صيغة " أعز الله أنصاره " في تتمة رسالته إلى شمس الدين بن البعلبكي.

أ/2 – الاستهلال بالبسملة

البسملة ظاهرة قرآنية لا يمكن لأي باحث في القران أو الفقه أو الحديث النبوي الشريف أن يتجاوزها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من حزنه أمر يتعاطاه ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم و هو مخلص لله ، يقبل بقلبه عليه ، لم ينفك من إحدى اثنتين إما بلوغ حاجته في الدنيا و إما يُعد له عند ربه ويُدخر له لديه ، وما عند الله خير و أبقى عند المؤمنين".[14]

فهي سيدة الآيات و بوابة القران الكريم ، و السر الجاري بين طيات سوره ، و العامل المبارك في عطاء الآيات القرآنية و ثمراتها.

و تعد البسملة من التقاليد و الأسس المعتمدة في المكاتبات منذ القديم، وقد استهل بها الكثير من الكتّاب رسائلهم، لأنهم يرون أن توظيفها في الرسائل هو ضرورة يتحكم فيها نازع الدين و الإيمان، فالعمل الذي لا يبدأ بذكر اسم الله لا بركة فيه.

[14] محمد بن الحسن الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة ، تحقيق : محمد بن محمد الحسين القاتيني ، الجزء الثالث ، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ، 1418 هـ ، ص 9.

وقد كانت العرب قبل مجيء الإسلام تقول " بسمك اللّهم" ظن وذلك على لسان قريش ، وأول من قالها أميّة بن أبي الصلت ، ومنه تعلموها".[15] ومع مجيء الإسلام، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكتب في " أول كتابه بسمك اللّهم، ثم يكتب بعدها ما أراد على عادة الجاهلية".[16]

ثم نزل قوله تعالى " بسم الله مجراها و مرساها" في سورة هود الآية 41 ، و بعد نزول هذه الآية الكريمة ، كتب الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله ، ولما نزل قوله تعالى " إنه من سليمان و إنه باسم الله الرحمن الرحيم" في سورة النمل الآية 30 ، كتبها الرسول صلى الله عليه و سلم بسم الله الرحمن الرحيم ، و بقيت بهذه الصيغة إلى اليوم ، ولم تتغير مُطلقا.

ومن خلال اطلاعنا على رسائل الوهراني وجدناه اتبع هدا النوع من الاستهلال في ثلاث رسائل هي :

1 – رسالة على لسان جامع دمشق

قال صلاح الدين المنجد : " نشر هذه الرُقعة لأنها من النصوص المتعلقة بتاريخ مدينتنا دمشق و خاصة بتاريخ مساجدها ، وخلاصتها أن مساجد دمشق ، والضياع التي من حولها أصابها في زمن نور الدين الخراب و الضياع ، فاجتمعت هذه المساجد ، ولجأت إلى أميرها و سيدها جامع بني أمية ، وكتب لها جامع النيرب قصة قدومها إليه ، ذكر فيها ما تلقاه المساجد من جور العمال ، ونهب الوقوف ، وخراب الحيطان و السقوف".[17]

[15] هاشم أبو خمسين : تفسير البسملة ، مكتبة نرجس ، دط ، دت ، ص 9.

[16] المصدر نفسه ، ص 10.

[17] صلاح الدين المنجد : الوهراني و رقعة مسجد دمشق ، ص 10.

وعند قرائتنا لهذه الرسالة ، وجدنا أنها احتوت على عدة رسائل أخرى ، فمن المساجد إلى مسجد جلق ، ومن مسد جلق إلى بن أبي عصرون ، ومنه رد إلى المساجد ، ومن المساجد إلى الملك العادل.

فالرسالة التي بعث بها الوهراني و التي استهلها بالبسملة هي الرسالة التي أرسلها ملك الجوامع بدمشق و هو مسجد جلق [18] إلى بن عصرون ، قال الوهراني : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من ملك الجوامع يجيرون إلى سعد بن أبي عصرون :

لقَدْ أَسْمَعْتُ لو نَادَيتُ حَيًّا ولَكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِيْ[19]

واستهل الوهراني لهذه الرسالة بالبسملة على لسان جامع جلق يدلُ على شخصيته المرتبطة بالقيم الدينية ، وقد يكون الوهراني عالمًا بحال المساجد في تلك الفترة ، وهو ما أدى به إلى كتابتها ، وكما ذكرنا سابقا أنّه كان خطيبًا بجامع داريا بدمشق.

و قد أعطى الوهراني بهذه الرسالة قيمة كبيرة لجامع جلق ، لأنه لقبّه بالأمير ، كما وصفه أيضا بملك الجوامع ، لأنه يعد رابع أشهر المساجد الإسلامية بعد حرمي مكة و المدينة و المسجد الأقصى ، فكان له استهلال خاص عن غيره من المساجد الأخرى ، وقد كان لهذا المسجد مكانة عظيمة في تاريخ دمشق ، قال القاسم بن عثمان الجوعي : " سمعت مروان بن محمد يقول في قوله تبارك و تعالى قال : "و التين و الزيتون". مسجد دمشق ، قال التين مسجد دمشق ، والزيتون بيت المقدس ، قال : و أخبرني أبو مروان ، أنبأنا محمد بن شعيب : سمعت غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التين مسجد دمشق ، وأنهم أدركوا فيه شجرًا من تين قبل أن يبنيه الوليد".[20]

---

[18] جلق : هو اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هي دمشق نفسها ، وقيل جلق موضع بقرية من قرى دمشق.

[19] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 67.

[20] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : مجد الدين أبي سعيد عمر بن علامة العمري ، الجزء 2 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، 1995 م ، ص 237.

كان لهذه الرسالة بناء خاص يدل على الشجاعة وعدم الخوف ، لأن الشخص الذي أرسلت إليه هذه الرسالة هو ابن عصرون " أبو سعد عبد الله بن أبي السري محمد بن هبة الله بن مُظهر بن علي بن أبي عصرون التميمي الحديثي ثم الموصلي ، الملقب بشرف الدين ، قدم إلى دمشق لما ملكها الملك العادل نور الدين سنة 549 هـ ، ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق ، وتولى أوقاف المساجد".[21]

و هو شخصية لم تتمكن المساجد من الوصول إليها ، لذلك لجأ إلى مسجد جلق ، خوفًا منه لما رأته و شهدته من خراب و إهمال و فساد ، فأسندت المهمة إلى جامع دمشق.

و عندما وصلت هذه الرسالة إلى بن أبي عصرون ، قرأ ما احتوت عليه ، وردّ عليها برسالة أخرى جاء فيها: " بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلت رُقعتُك أصلحك الله كأنها ضربة موتور أو نفثة مصدور ، و تخلّط فيها الهزل بالجد". [22] لقد رد ابن أبي عصرون على المسجد برسالته هذه التي افتتحها بالبسملة ، لأنه كان مسؤولا على أوقاف المساجد ، لذلك لابد أن تكون مناسبة لهذا المقام الذي تولاه.

و أخر رسالة هي الرسالة التي بعث بها مسجد دمشق إلى الملك العادل، قال فيها: " باسم الملك العلاّم، من العاتب الواجد، إلى الملك الزاهد، قا ل الجاحظ للوتد لم تشقني؟ قال: سل من يدقني لم يتركني ورائي الحجر الذي من ورائي.أما بعد أيها الملك العادل أدام الله أيامك و نشر في الخافقين أعلامك، فقد طاولت بعد ذلك القمرين، وسرت سيرة العمرين وأنت تعلم أن الله قد طهر بقعتي و كرّمها ، وشرف بنيتي و حرّمها".[23]

---

[21] ابن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، الجزء الثالث ، دار صادر ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 53.

[22] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 69.

[23] المصدر نفسه ، ص 70.

نلاحظ في هذه الرسالة أنه ابتداءها بعبارة " باسم الملك العلام" وهذه الصيغة التي استهل بها الوهراني كتاباته على لسان المسجد تدل على السياق الاجتماعي الذي ينتمي إليه المسجد ، حيث تمكن الوهراني من المحافظة عليه ملتزمًا بما يتمتع به المسجد من مكانةٍ و منزلةٍ يفوق بها المساجد الأخرى ، لذلك كان لابد له من اختيار عبارة ملائمة ، و اسم مناسب ، فالمسجد والملك العدل كلاهما من عالم الملوك ، لكن كل واحدٍ منهما ينتمي إلى عالمه الخاص ، كذلك توظيفه لكلمة " الملك" مع كلمة " العلاّم" ، إيحاء يدل على التواضع لطرفي الخطاب ، فكلاهما من أسماء الله الحسنى.

2 – البسملة في رسالته إلى أبي الثنا محمود بن أفلح بن يحي اللخمي المعروف بابن أتكوا :

كتب الوهراني أمرًا من قاضي الفاسقين العام في المغرب و الشام بتقليد ولاية الفسق في ثغر الاسكندرية لأبي الثنا محمود بن أفلح بن يحي اللخمي المعروف بابن أتكوا ، افتتح ابن محرز الوهراني رسالته بالبسملة ، ثم أتبعها بالتحميد ثم الشهادتين ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجاوز عن كل غي ، ووعد بالمغفرة كل حي ، فقال عز من قال " ورحمتي وسعت كل شيء" أحمد حمد الثرى للمطر .والمحب على بلوغ الوطر .و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة توصلني إلى الوالدان ، و تجمعني في الجنة مع المردان ، و أشهد أن محمدًا عبده و رسوله ، الوفي بذمته ، الشفيع للمذنبين من أمته ، صلى الله عليه وعلى اله الطاهرين من عثرته".[24]

بدأها الوهراني كما ذكرنا سالفا بالبسملة و التحميد و الشهادتين لأن الشخصية المرسلة إليها هي شخصية عُرفت بالفساد و الفسق ، فابتدئها بهذا الاستهلال هجاءًا و سخريةً منه ، ومن

[24] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 176.

قوله في هذا : " هذا ما عهد قاضي قضاة الفاسقين و ناصر دين العاشقين ، إمام العصاة و المنافقين ، جمال البدود و الدساكر و رئيس الخرابات و المواخر ، فخر العلوق و المساخر".[25]

فقد تحدث بن محرز الوهراني في هذه الرسالة عن أبي الثنا محمود بن أفلح بن يحي اللخمي الذي جعله القاضي الأكبر للفاسقين و الذي وصفه الوهراني بالخليفة الحاكم أو كبير القوم للعصاة و الخارجين عن الطاعة و الأوامر ، و إمام العداوة والخداع ، وستره للكفر بقلبه و إظهاره للإيمان بلسانه ، كما أقر بأنه سبب الدمار و الخراب ، ومجالس الفسق و الفساد ، و كل ما يجلب السخرية.

واسترسل في هذه الرسالة ، يتحدّث عن أبي أتكوا ، ذاكرًا الكثير من العبارات التي تدُّل على طريقة عيشه ، مثلا قول الوهراني : " و أدام في الخمور هونك ". [26] أي أنه كان يرهن أملاكه لشراء الخمور ، وقوله أيضا " واطوٍ بساط الخمر بما فيه ". [27] و هي قاعدة عند الشاربين بعدم إعادة ذكر أي مما جرى في مجلس شرابهم ، وغيرها من العبارات الأخرى ، التي لا تعد ولا تحصى ، التي أتم بها رسالته ، واستطاع الوهراني أن يشفي غليله و حقده ، ويظهر ضغينته في خمس صفحات و نصف.

و توظيف الوهراني للبسملة وما جاء بعدها من تعابير يؤثر في سمع القارئ ، ويظهر قدرته التعبيرية و جدية كلامه و أسلوبه لإثارة الأحاسيس و العواطف.

[25] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 176.

[26] المصدر نفسه ص 177

[27] المصدر نفسه

3 – البسملة في رسالة الطير

كتب ابن محرز الوهراني هذه الرسالة على لسان النبي سليمان الحكيم موجهة إلى جنس الطير هذه الرسالة هناك من شكك في نسبتها إلى الوهراني و هو صلاح الدين الصفدي في كتابه " أعيان العصر و أعوان النصر " ، حيث نسبها إلى القاضي مجيد الدين بن عبد الطاهر ، قال : " وكان المسكين جمال الدين لا يزال الواقع بينه و بين القاضي محي الدين بن عبد الطاهر فكتب تقليدًا على سبيل المداعبة لشخص يعرف بابن غراب يعرّض فيه بالوطواط".[28]

و لكننا قُمنا بدراسة هذه الرسالة لأننا وجدناها ضمن مؤلفه " منامات الوهراني و مقاماته و رسائله" افتتح الوهراني هذه الرسالة بقوله :

" إنه من سليمان و إنه بسم الله الرحمن الرحيم".[29]

و هذه صيغة مقتبسة من القران الكريم في سورة النمل و السبب الذي أدى بالوهراني إلى ابتداء هذه الرسالة بهذه الآية الكريمة ، هو أن الملكة بلقيس عندما استلمت الكتاب المبعوث من سيدنا سليمان عليه السلام عن طريق الهدهد ، ابتدأه بهذه العبارة ، وقد وصف الوهراني طائر الهدهد بحسن خُطبته ، وجميل خطابه ، في قوله: " و أن نصف الهدهد بحسن اعتذاره في خُبثه و دهائه ، و أن نثني على حسن خُطبته و جميل خطابه".[30]

و ركز الوهراني على طائر الهدهد لأنه حامل الكتاب الذي كتبه سليمان عليه السلام ، و أعطاه إلى الهدهد ليذهب به إلى الملكة بلقيس ، لأنه كتاب الدعوة إلى الإيمان ، واختار

[28] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله.

[29] المصدر نفسه.

[30] المصدر نفسه ص 235

الوهراني سيدنا سليمان الحكيم راوٍ لهذه الرسالة لأنه النبي الذي تعلّم منطق الطيرو الحيوانات.

أ/3 – الاستهلال بالحمدلة

كما جرت العادة أن تُفتتح الرسائل بالبسملة و الدعاء ، جرت أيضا أن تُفتتح بالحمدلة ، فيحمد الله تعالى و يشكره على آلاءه التي تُوجب ذلك.

و الحمدلة أي قول " الحمد لله رب العالمين " [31] هي عبارة عربية تقال عند الشعور العميق بالحب و الرحمة من الله ، و الشعور بالامتنان لله سبحانه و الحمد هو الثناء الجميل باللسان و كون الحمد لله وحده لا شريك له.

و قد استهل الكثير من الأدباء و كتاب الرسائل ، مكاتباتهم و رسائلهم بالحمدلة ، فيحمدون الله في كل آنٍ ، و يثنون عليه ثناءًا مستمرًا ، و يصلون على نبيّه و رسوله الكريم ، وعلى اله الطاهرين. كما نجد هذا في رسالة ابن المقفع " الدرة اليتيمة" حيث قال " الحمد لله رب العالمين و صلواته على نبيّنا محمد و اله الطاهرين" [32] ولكن التحميد " أي قول الحمد لله فهو مسموح به فقط في الرسائل أو الكتب الصادرة عن ديوان الملك" [33] أي أن هذا اللون من الاستهلال شاع في الرسائل الديوانية الرسمية ، وقل وجوده في الرسائل الاخوانية.

ومن خلال مراجعتنا لرسائل بن محرز الوهراني ، وهي أغلبها رسائل اخوانية ، وجدنا رسالتين فقط من رسائله التي استهلها بالتحميد ، وهما رسالتان تناولناهما من قبل وهما :

---

[31] عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي و الخطاطين ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، بيروت ، د ت ، ص 40.

[32] محمود كرد علي ، رسائل البلغاء ، دار الكتب العربية الكبرى (مصطفى البابي الحلبي) ، ط 2 ،1913 م.

[33] أدريان غللي ، ثقافة أدب الرسائل في المجتمع الإسلامي قبل العصر الحديث ، نقله إلى العربية وليد شحاذة ، العبيكان للنشر ، الإمارات ، د ط ، 2011 ، ص 287.

1 – الحمدلة في رسالته إلى أبي الثنا محمود بن يحي بن أفلح اللخمي المعروف بابن أتكوا

افتتح الوهراني هذه الرسالة بقوله :

"الحمد لله الذي تجاوز عن كل غي ، ووعد بالمغفرة لكل حي ، فقال عز من قال " ورحمتي وسعت كل شيء" أحمد حمد الثرى للمطر.والمحب على بلوغ الوطر.و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة توصلني إلى الوالدان ، و تجمعني في الجنة مع المردان ، و أشهد أن محمدًا عبده و رسوله ، الوفي بذمته ، الشفيع للمذنبين من أمته ، صلى الله عليه وعلى اله الطاهرين من عثرته".[34]

ما نلاحظه في هذه الرسالة أن بن محرز الوهراني ، قد ربط الحمد بالمغفرة و الرحمة ، وربما يعود السبب في ذلك أن الشخص المخاطب بهذه الرسالة و هو محمود بن يحي بن أفلح الخمي هو شخص له ذنوب و معاصي كثيرة ، ولأن هذه الرسالة رسالة هجائية ، فإن الوهراني قد أورد عبارات تتناسب و تتلائم مع طبيعة الموضوع.

فقد اختار الوهراني مثلا كلمة "غي" و التي تعني الضلال و الابتعاد عن طريق الحق و اليقين ، تمهيدًا للدخول في هجائه ، و سخريته منه ، وأيضا توظيفه للشهادتين يتناسب مع السخرية و الهجاء ، والاستهزاء و التهكم ، وما سيذكره الوهراني أيضًا من عبارات السب ، و تعداد لمعايب ابن أتكوا ، و الصلاة و السلام على نبينا الكريم و على اله و صحبه الطاهرين ، ووساطته و شفاعته للمذنبين و الخاطئين أيضا ، كذلك يتناسب مع سياق الحديث لشخصٍ مذنب.

[34] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 176.

2 – الحمدلة في الرسائل بين المساجد الدمشقية

ورد التحميد في هذه الرسالة على لسان جامع المِزّة ، و هو أحد أقدم المساجد في حي المِزّة بدمشق. ويقال أنها قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ ، و بها فيما يُقال قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم [35] إبتدأ الوهراني هذه الرسالة التي بعث بها جامع المِزّة إلى مسجد دمشق بقوله: " الحمد لله الذي قضى علينا الخراب ، وصير أموالنا كالسراب ، وجعلنا مأوى للبوم و الغُراب ، أحمده حمد من كان فقيرًا ثم استغنى ، وأدرك بمال الوقوف ما تمنى ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عالم عامل متحمل لثقل الأمانة حامل ، و أشهد أن محمدا عبده المكين ، ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه و اله الطيبين الأكرمين".[36]

مسجد المِزّة في هذه الرسالة يحمد الله تعالى على ما هو عليه و ما أصابه من ابتلاء ، واختبار لصبره ، لذلك افتتحت هذه الرسالة بالحمد و الشكر و الرضى لله تعالى ، و هذا يرتبط بالسياق الديني ، لأن الجامع يرتبط بالدين ، ونشر تعاليم الإسلام ، لذلك اعتمد على الاستهلال بالحمد الذي يدل على شخصيته الدينية ، والمتصلة بالله عز وجل.

كما اتبع هذا الحمد بذكر الشهادتين، وأسند لنفسه تحمل الأمانة الثقيلة وبعدها صلى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

كما احتوت هذه الرسالة على رسالة أخرى ، كان فيها الجواب للمساجد على رسائلها ، جاء فيها : " الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه نصب العدل و سواه و أمده بعونه و قوّاه ، فمن أضل ممن اتبع هواه ، فأهواه بسلبه و أضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه ، أحمده على ما رزقني من الاحتمال ، و أشكره على ذهاب العرض و الجاه و المال ، و

---

[35] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، المجلدة ، دار صادر ، بيروت ، 1977 م ، ص 122.

[36] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 63.

أشهد أن لا إله إلاّ الله رب العالمين وحده لا شريك له شهادة من أعطى الأمانة حقها ، وكان أهلها و مستحقها ، وأشهد أن محمدًا عبده المختار ، ورسوله الصادق البار " صلى الله عليه واله الأبرار".[37]

هذه الرسالة تتلائم مع السياق الذي يتناوله الموضوع ، وهذا يتبين لنا ، ويتضحُ من خلال أن المسجد حمد الله تعالى على ما أصابه من كروه و أن الله عز وجل رزقه القوة و الصبر لتحمل ما هو عليه ، كما شكر الله تعالى على ذهاب عرضه و جاهه ، و ماله ، و على تنصيبه العدل ، لان المساجد في سياق الكلام ، و مجراه تبحث عن العدل ، بعد ظلم ، و استبداد بن أبي عصرون ، الذي ظلمهم ، وكان السبب في خرابهم ، و دمارهم ، و في نهاية هذه الرُقعة أشار بن محرز الوهراني إلى أن الملك نور الدين قد عزل بن أبي عصرون ، بسبب إهماله للمسجاد ، في قوله :" ثم نظر إلى بن أبي عصرون ، فأنزله و حجبه عن بابه و اختزله ، و ألقاه في سجن الصدود ، و خلده فيه إلى يوم الخلود" [38] ، و هذا ما أكده أيضا صلاح الدين المنجد في كتابه " الوهراني و رقعة عن مساجد دمشق ".

[37] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 63.

[38] المرجع نفسه ، ص71.

4- الاستهلال بالشعر

الشعر بوصفه تعبيرا إبداعيا ، بلغة اللسان ، عن معاناة إنسانية ، هو أحد أنواع الفنون الجميلة الخمسة ، الرسم ، الرقص ، الموسيق ى ، النحت ، و الشعر ، وهو مثلها جميعا ، صناعة فنية ، يعبر بها التعبير الجميل عن حالات النفس البشرية ، في كل ما يوجب الفكر ، و الخاطر و الوجدان ، إلا أن الشعر يتميز بمادة التعبير ، من خلال ألفاظ اللغة و أساليبها.

و أصبح الكتاب يوظفون الشعر في رسائلهم وخطبهم و يجعلونه زينة لها حيث لم يقتصر الاستهلال من كتبة الرسائل على الدعاء و البسملة و الحمدلة فقط بل تعداها أيضا إلى الاستهلال بالشعر.

و قد درج الكثير من الأدباء الكتّاب إلى افتتاح رسائلهم الأدبية ، و لاسيما الاخوانية بالشعر العذب الرصين ، و أشهر من عرف بهذه الظاهرة الفنية في صدور رسائله كان أبو بكر الخوارزمي ، و بديع الزمان الهمذاني ، و عادة يكون الاستهلال بالشعر لتهيئة القارئ للاستماع ، والمتابعة.

ومن أروع استهلالات الخوارزمي بالشعر العربي ، ما أورده في رسالته إلى قاضي سجستان حين نكبه أميرها ، فكان افتتاح الخوارزمي رسالته بهذه الأبيات الشعرية مناسبا ، و مهيئا دهن السامع لموضوع الرسالة ، معبرا عن موقفه ، و مشاعره الصادقة إزاء ما حل بالقاضي قال :

إذَا مَا الدَّهرُ جَرّ عَلى أُنَاسٍ كَلاَ كِلّه أنَاخَ بأَخَرِينَـــــا

فَقَالَ للشَامِتِيـنَ بِنَا أَفِيقــُوا سَيلقَى الشَامِتُونَ كَمَا لَقَينَا [39]

[39] غانم جواد رضا الحسن : الرسائل الادبية في القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، الاشراف ، يونس أحمد السامراني، 1425هـ ،2005م ، ص 367.

و لابد أن يكون ابن محرز الوهراني قد تأثر بمن سبقوه ، فقد و جدنا في رسائله ، ستة رسائل مستهلة بالشعر وهي :

- رسالة المنام

استهل الوهراني رسالته هذه بثلاثة أبيات شعرية و هي :

أَيًا نَفحَــةً أَهدَت إلـــيَّ تَحِيَـةً يَنِمُ عَلَيــهَا العَرفُ مِن أُم سَـالِمِ

مَشَت فِي أَرَاكِ الوَادِيين فَنبهَت بِهِ كُل نَشْوَانِ المَعَاطِـفِ نَاعِمِ

ألاَ إنمَا أَحْكِي بِدَمْعِي وَ لَوعَتِي بُكَاءَ الغَوَادِي و انْتِحَابَ الحَمَائِمِ [40]

قام الوهراني بإرسال هذه الرسالة إلى الشيخ العليمي ، وهي رسالة مستهلة " بأبيات تدل على الحزن ، و الهم و الكرب ، و مدحه للكتاب الذي تسلمه لذلك جاءت ألفاظها دالة على الحزن ، فهو يعبر بالدمع و البكاء لامتزاج حنينه ، و شوقه بالأسى.

- رسالة مسجد برزة إلى مسجد جلق

هذه الرسالة بعث بها مسجد برزة ، بعد أن أذن له مسجد جلق بالكلام ، و برزة هي قرية من غوطة دمشق و هذا الاسم يطلق على عدة قرى ، قال :

كُلمَا حَاوَلْتُ أَشْكُو قَصِيَتِي لاَ أُلاَقِيْ غَيْرَ ذِي قَلْبٍ جَرِيحِ

يَشْتَكِي مِثْلَ شَكْوَى مِحْنَتِي يَا لِقَومِي مَاعَليهَا مُسْتَرِيحِ [41]

عند قراءتنا لهذه الرسالة لاحظنا أن الوهراني قد افتتح هذه الرسالة بهاذين البيتين ، على لسان مسجد برزة الذي اشتكى همه و حزنه لمسجد الارزة ، و هي قرية كانت عامرة فخربت ثم أتبعهما بعبارة " أما بعد " ، فقال :" أما بعد أيها الملك السعيد أدام الله جمالك ، و بلغك

[40] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 17

[41] المصدر نفسه ، ص65 .

في عدوك أمالك" [42] فاستعماله لعبارة "أما بعد" التي تستخدم للدخول في الموضوع هي من محاسن براعة التخلص ، و بالتالي فهي كلمة يبتدئ بها كثير من الخطباء و الكتاب كلامهم في خطبهم و رسائلهم المعبرة ، و كأنهم يبتدئون بها الإصغاء.

و توظيفه للشعر كعتبة أولى للرسالة، له أثر على بقية العناصر الأخرى ، لأن الشعر يكشف و يعبر عن حالته النفسية الانفعالية ، فالتعبير عما يشعر به هو ، و من معه أهم ، في هذا الموضع من الدعاء و المبادئ الترسلية المعروفة ، لأنه في حالة تقتضي التعجيل بإيجاد حل من مخاطبه.

- رسالته إلى شمس الدين البعلبكي

هذه الرسالة كتبها ابن محرز الوهراني إلى الأمير شمس الدين البعلبكي ، من الرسائل المستهلة ببيت شعري قال فيها :

أَأَلهُو بَعْدَكُم وَ تَقِرُ عَيْنِي عَلَى اللّهْوِ بَعْدَكُمُ حَرَامُ [43]

و هذا البيت يدل على شوق الوهراني و حنينه ، و مدحه لشمس الدين البعلبكي ، ثم جاء بعد هذا البيت الشعري بدعاء قال فيه : " كتب عبد مولاي شمس الدين ، و سيد المرسلين ، في هذه السنين ، أطال الله في بقائه" [44] ثم اتبع هذا الدعاء ببيت شعري أخر:

إلَى أَنْ يَتُوبَ القَارِضَانِ كِلاَهُمَا وَ يَنْشُرُ فِي القَتْلَى كُلَيبُ لِوَائِلِ[45]

و السبب الذي دفع بالوهراني إلى توظيف الشعر في مطلع الرسالة ، هو لتزيينها ، و تنميقها وإظهار شوقه للأمير شمس الدين ، و لم تكن هذه الرسالة الوحيدة ، التي استهلها الوهراني

[42] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 66.

[43] المصدر نفسه ، ض 161

[44] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[45] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

بنفس البيت الشعري ، فقد كانت رسالته إلى البدر صاحب ضياء الدين الشهرزوري ، تبتدئ به ، كما أورد بعده أيضا دعاء بنفس الصيغة ، و أتبع هذا الدعاء بنفس البيت الشعري الثاني ، وربما يكون تكراره لهذه العناصر في رسالتين ، تكرارا مقصودا ، دالاً على التأكيد و التأييد ، وقد استعان الوهراني بشخصية (كليب لوائل) للتعبير عن البعلبكي و الشهرزوري فهو كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة الثقلي الوئلي ، سيد الحيين بكر ، و تغلب في الجاهلية ، و هو من الشجعان الأبطال ، وأحد من تشبهوا بالملوك في امتداد السلطة التي كانت منازله في نجد و أطرافها ، و بلغ من هيبته أنه يحي مواقع السحاب ، و يقال أن اسمه وائل و لقبه كليب ، و لأنه كان يتميز بالهيبة فقد كان أنسب شخصية يستعين بها الوهراني لوصف شخصيتها.

فالبيت الأول هو بيت يدل على الشوق و الحنين لشمس الدين البعلبكي ، و البدر صاحب ضياء الدين بن الشهروزي ، و البيت الثاني يدل على تأييده ، و تأكيده للمكانة التي احتلها كليهما من الهيبة و الشموخ.

- رسالة إلى القاضي الفاضل رحمه الله

إستهل الوهراني هذه الرسالة بقوله :"عند مولاي القاضي الأجل الفاضل ، أدام الله جده ، و أهلك ضده من السرور بقربه و الدخول في سرية"

كَمَـــا سُـرَّ مَهْجُـــورٌ بِوَصْـــلِ الحَبَايـــبِ

وَ مَنَ الارْتِيَاحِ عَلَىَ جَلاَلِهِ وَ الوَرْودُ عَلَىَ زِلاَلِهِ

كَمَـــا ارْتَـــاحَ ظَمْـــآنٌ لِـــعَذْبِ المَشَـارِبِ

وَ مِنَ الاهْتِزَازِ لِمَعَانِيهِ و الطَرَبِ إلَى مَا يُعَانِيهِ

كَمَـــا اهتَـزَ عُسَـــالُ مِـنَ السَمَـــرَ بَاتِرِ

ومِنَ الافْتِتَانِ بِلَعْقِهِ وَ الاعْتِكَافِ عَلَىَ حِفْظِـهِ

كَمَـــا نَظَـــمَ الذُرّ المُفَضَـل نِظَـــامِ [46]

من خلال هذه الأبيات أن لهذا الاستهلال طريقة عن باقي الاستهلالات الأخرى ، و هو استخدام الشطر دون البيت كله ، و لما كانت الرسالة التي استهلها الوهراني بالشعر باعتا بها إلى القاضي الفاضل ، فإنه خاطبه بالأسلوب الذي يوظفه في رسائله ، و لجوءه إلى أنصاف الأبيات ، وهذا لاستعراض قدراته التعبيرية ، الآن المخاطب هو " عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل ، من أئمة الكتاب ، وكان وزيرا من وزراء السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ومن مقربيه ، كان السلطان صلاح الدين يقول ، لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل". [47]ويقال أنه لم يكن في زمانه أحسن كتابة منه ، ولهذا خاطبه الوهراني بأبلغ العبارات ، كونه وزير السلطان ، و كاتب ديوان الدولة الأيوبية و من خلال ما تقدم ، وما تناولناه من رسائل ، نستنتج أن ابن محرز الوهراني قد اعتمد على العديد من الاستهلالات ، إعتمد على إفتتاح كلامه بذكر اسم الله ، و حمده و الثناء عليه ، كما اعتمد على الدعاء للمرسل إليه ، و الشعر ليظهر قدرته البلاغية واللغوية و التعبيرية ، كما لاحظنا أيضا أن استهلاله لرسالة المساجد بالبسملة ، و الحمدلة ، كان مناسبا كون الموضوع يدور في إطار ديني ، و افتتاحه بالشعر كان للشخصيات السياسية.

[46] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 213.

[47] خير الدين الزرعلي : الاعلام ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت ، الطبعة السابعة ، 1986م ، ص346.

ب – المتن أو العرض

لقد اهتم كتاب الرسائل ببناء الرسالة اهتماما كبيرا ، و بمضمونها اهتماما دقيقا ، فكان مضمون أي رسالة يختلف عن الأخرى ، بحسب الموضوع المرسل فيه ، وقد أظهروا حرصهم الشديد على رونق الرسالة ، و أجزاءها ، ووحدة موضوعها ، و ذلك لتعبير عن الموضوع الذي كتبت من أجله من جهة ، ومن جهة أخرى ، لأنه أهم جزء فيها ، فهو يقع بين الاستهلال ، و الخاتمة.

ب/1– حسن التخلص

يبدأ كاتب الرسالة ببسط أفكاره، وسردها، و يظهر فيها إبداعه في الحديث، و القدرة على استخدام الأساليب الفنية المتنوعة.

و ينتقل كتاب الرسائل إلى المواد من رسائلهم " بحسن التخلص" لطريق الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم : وهو ذلك التمهيد الذي ينتقل به الكتاب من الاستهلال إلى المتن أو العرض.

ولا شك أن مصطلح حسن التخلص من المصطلحات المعروفة في البلاغة ، وقد ذكره البلاغيون في مؤلفاتهم " و هذا الباب قديم ، وهو من أجل أبواب المحاسن ، ويسمى معرفة الفصل من الوصل" [48] و قد ذكره ابن الأثير في مؤلفه معرفا إياه بقوله : " هو أن ينتقل من الصفات أو الأدعية إلى المطلوب في الكتاب (انتقالا) حسنا غير خارج في اللفظ و المعنى".[49]

[48] ابن ابي الصبع المصري : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر و بيان إعجاز القرآن ، تقديم و تحقيق : حضني محمد شرف ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، ط2،دت،ص436.

[49] ضياء الدين بن الاثير : مفتاح المنشأ لحديقة الانشا ، ص99.

و قد ورد أيضا هذا المصطلح براعة التخلص في معاجم المصطلحات فقد ذكره أحمد مطلوب في معجمه بقوله : " و هذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، و اعتمادهم البديع في أفانينه" [50] وهو بهذه يكون ضربا من ضروب الصنعة ، و وجه من وجوه التزيين و التنميق.

و سماه أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بالتغلبي " حسن الخروج " و تبعه في ذلك تلميذه ابن المعتز فقال وهو يتحدث عن محاسن الكلام :" و منها حسن الخروج من معنى إلى معنى " [51] أي الانتقال من تعبير إلى تعبير آخر ، دون أن يحس القار ئ بهذا الانتقال لشدة التوافق و الانسجام بين الطرفين.

لهذا لابد من الاهتمام و العناية بهذا الجزء من الرسالة ، لأنه يلفت الانتباه ، ويبعث فيه الرغبة إلى سماع ما سيأتي ، وغالبا ما يقع حسن التخلص في الرسالة بصيغة " أما بعد " و هي وقفة بين الابتداء و الشروع في الموضوع المراد الحديث عنه في المتن أو العرض. و قد وردت هده الصيغة كثيرا في رسائل الوهراني وقد تكررت أكثر من مرة في رسالة المساجد الدمشقية.

قام بن محرز الوهراني بتوظيف صيغة حسن التخلص " أما بعد " على لسان جامع المزة إلى (الملك العادل) قال :" أما بعد أيها الملك السعيد ، تبث الله قواعد أركانك ، و شيدها و هي من بنيانك ، فإن الخراب قد استولى على المساجد ، حتى خلت من الراكع و الساجد ، فأصبحت مساجد الغوطة غيطان ، لا سقوف لها و لا حيطان".[52]

[50] أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغة و تطورها ، مطتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، بيروت ، ط2007،2 ص230.

[51] أبو العباس عبد الله بن المعتز : البديع ، تحقيق : عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة و النشر و التوزيع لبنان ، بيروت، ط1، 2012م، ص75.

[52] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 63-64.

و ما نلاحظ في توظيف هذه الصيغة في هذه الرسالة هو لإبراز مكانة مسجد المزة الذي ذكرنا سابقا بأنها من اكبر القرى الغنّاء في دمشق ، ولينتقل بها إلى الحديث عما صارت عليه المساجد من خراب و إهمال بسبب ابن أبي عصرون ، و فد كان انتقالا مرفقا بهذه الصيغة للدخول في صلب الموضوع ، المراد ذكره في الرسالة.

كما وردت هذه الصيغة كذلك على لسان مسجد برزة متوكأ على مسجد الارزة قال" أما بعد أيها الملك السعيد،أدام الله جمالك ، و بلغك في عدوك آمالك ، فإن مقام إبراهيم ، أصبح في كل واد يهيم " [53] و قد وظف الوهراني براعة التخلص و أما بعد في هذه الرسالة ليبين المنزلة الرفيعة التي يحظى بما هذا الملك ، و أن المساجد الدمشقية تكن له التقدير و الاحترام ، وأنه شخصية جديرة بالاعتبار ، ويتمتع بالمهابة و الإجلال ، وتقديرا لجهوده و عرفانه.

كما وردت أيضا في الرسالة التي بعث بها مسجد جلق إلى ابن أبي عصرون ، قال فيها : " أما بعد بإعذار لقد هيجت الألم ، وأبهمت الظلم و من استرعى الذئب فقد ظلم ، طالما تغافلنا عن خيانتك ، وتغاضينا عن جنايتك ". [54]

كان هذا الانتقال بهذه العبارة إلى عرض الرسالة ملائما ، حيث كانت بمثابة توطئة للدخول في الموضوع ، حيث قام بن محرز الوهراني بإرسال رسالة على لسان بغلته إلى الأمير عز الدين موسك، وهو خال صلاح الدين الأيوبي ، حيث قال في بدايتها : " المملوكة ريحانة بغلة الوهراني تقبل الأرض بين يدي المولى عز الدين حسام أمير المؤمنين ، نجاه الله من حر السعير ، وعظم بذكره قوافل العير".[55]

[53] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 65 .

[54] المصدر نفسه ، ص 67.

[55] المصدر نفسه ، ص 90.

كان هذا التخلص ، أو الانتقال هو تمهيد للدخول في متن الرسالة على لسان بغلته الملقبة ريحانة ، ولم يكتفي الوهراني باستخدام "حسن التخلص" بصيغة "أما بعد" و الجملة الاسمية فقط ، بل ورد في كتابه " منامات الوهراني ومقاماته و رسائله" ، ثلاث رسائل التي لم يبدأها بالاستهلالات المذكورة سابقا ، بل اكتفى بافتتاحها بأفعال ماضية ، كالفعل الماضي كتب أو وصل ، وهي :

* **الرسالة الأولى** : هي رسالته إلى الأمير نجم الدين بن مصال و التي بدأها مباشرة بقوله: " كتب هذه الأحرف عبد مولاي المفضل الأمير نجم الدين علم المسلمين".[56]

* **الرسالة الثانية** : هي الرسالة التي كتبها الوهراني إلى تقي الدين وهو مقيم بدمشق قال فيها : " وصل كتاب المولى الأمير الأجل صاحب تقي الدين مصطفى أمير المؤمنين".[57]

* **الرسالة الثالثة:** و هذه رسالة إلى صديق له بدمشق بدأها بقوله: " كتب هذه الأحرف عبد مولاي القاضي الأجل".[58]

و ما نخلص إليه ، أن متن الرسالة في أي عمل أدبي هو جوهره ، و الأساس فيه ، و العمود الذي بنيت عليه الرسالة ، وهو أيضا الجزء الذي حفّزَ الأديب ، و شجعه على إنشاء عمله الأدبي و لعل هذا ما يفسره أرسطو في كتابه " الخطابة " " عند دراسته و تحليله ، لأجزاء الكلام في الخطبة ، بهذا الجزء الفني من الكلام ، إذ أنه اعتبر العرض ، أو المتن ، أهم أجزاء العمل الفني ".[59]

ومما استخلصناه أيضا ، فضلا عن التوطئة المناسبة لعرض الرسالة و مضمونها ، و فحواها فقد اهتم البلغاء من كتّاب الرسالة ، إلى ابتكار طريقة ، أو تقنية للانتقال من

---

[56] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ص 75

[57] المصدر نفسه ص 103

[58] المصدر نفسه ص 203

[59] غانم جواد رضا الحسن : الرسائل الادبية في القرن الرابع في العراق ، و المشرق الاسلامي ،ص370

الاستهلال إلى العرض ، دون أن يكون هناك خلل أو فراغ بينهما ، و هو ما يعرف بحسن التخلص أو براعة التخلص ، أو حسن الانتقال ، بفصل الخطاب و الكلام بـ "أما بعد"، أو بجمل اسمية ، سواء تبدأ باسم المرسل إليه ، أو بجمل فعلية ، ... و غيرها من ألوان التخلص إلى غرض الرسالة. و غالبا ما يعمد كتاب الرسائل إلى تزيين كتاباتهم بأساليب و ألفاظ و زخارف لفظية كثيرة و متنوعة و لاشك أن رسائل الوهراني لا تخلو منها و في هذا السياق نذكر:

ب/2- بنية الألفاظ

قال ابن رشيق القيرواني " اللفظ جسم و روحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد، يضعف بضعفه و يقوى بقوته " [60] فالألفاظ لهذا تعد حصون المعاني و أول المواد في أصول الإنشاء ، و أهم مقياس تقاس عليه الرسالة، ويشترط فيها أن تكون صريحة شديدة الوضوح ، كما يشترط فيها أيضا أن تكون فصيحة ، خالية من الإبهام و سوء التأليف دالة على المعنى المطلوب ، قال أبو هلال العسكري: " الكلام- أيدك الله بحسن سلاسته و سهولته ونصاعته و تحيز لفظه وإصابة معناه". [61]

لهذا اهتم الأدباء و النقاد بالألفاظ و تركيبها و قاموا بتوجيه الأدباء إلى أن يتخيروا منها الحسن ويجتنبوا القبيح ، حيث أن من مميزات أسلوب الرسائل اختيار الألفاظ التي تؤدي المعنى المراد دون أي غموض و لابد من العناية بتركيب الألفاظ و العبارات لتكون واضحة

[60] أبو علي حسن بن رشيد القيرواني : العمدة في صناعة الشعر و نقده ، عُنيَ بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، الجزء الأول ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط 1 ، 1907 ، ص 80.

[61] أبو الهلال أحسن بن عبد الله العسكري بن سهل : الصناعتين الكتابة و الشعر ، تحقيق : محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، المجلد 1 ، نشره عيسى البابي الحلبي دار إحياء الكتب العربية ، ط 1 ، 1952 م ، ص 55.

الدلالة على المضمون ، حتى تحقق الغاية المنشودة من الرسالة و منه " فإن من عناصر البلاغة اللفظ و المعنى و التأليف بينهما يمنح الكلام قوة وتأثير". [62]

لهذا كان لابد لنا من الوقوف على الألفاظ في رسائل الوهراني ،ومعرفة من أين اغترف ألفاظ رسائله.

ومن خلال إطلاعنا على رسائله ، اكتشفنا أن الألفاظ التي و وظفه ا الوهراني في كتاباته كانت تخضع لنفسيته و البيئة الاجتماعية التي كان يعيش فيها، حيث وجدنا بعض العبارات و التراكيب الدالة على حالته النفسية، و ما يختلج صدره من أحاسيس اتجاه العديد من الملوك،و رجال الدولة الدين كان يكتب لهم، كما وجدنا العديد من الألفاظ و التراكيب التي تأثر بها الوهراني بكتاب الله العزيز وهو القرآن الكريم ، كما وظ ف الوهراني أيضا بعض الألفاظ المتداولة لدى عامة الناس ، كما وجدنا العديد من الألفاظ الخارجة عن الثقافة العربية ، وهي ألفاظ من ثقافات أخرى ، لاسيما الثقافة الفارسية ومن الثقافة اليونانية.

أ -الألفاظ الدالة على الحالة النفسية:

بين الأدب بوصفه تعبيرا عن معاناة إنسانية ، وعلم النفس باعتباره رصدا تحليليا للدوافع السلوكية و الحالات الشعورية الكامنة وراء أي نشاط بشري ، صلات وثيقة ، وانعكاسات متبادلة ، تجعل الآثار الأدبية حقلا خصبا للتعبير عنها.

" فالعلاقة بين الأدب و النفس لا تحتاج إلى إثبات ، لأنه ليس هناك من ينكرها. [63] فالأدب على اختلاف أنواعه ، هو من أهم الأنشطة الفكرية والفنية تعبيرا عن الذات الإنسانية.

[62] أحمد الشايب : الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 8 ، 1991 م ، ص 41.

[63] عز الدين إسماعيل التفسير النفسي للأدب مكتبة غريب و دار غريب للطباعة، القاهرة، ط4، د ت، ص 5

و كثرت الألفاظ المعبرة عن الحالة النفسية للوهراني في رسائله ومن ذلك قوله " على أنه وجد بين جوانح الخادم من نار الشوق أجيجًا" [64] ، فتوظيفه لعبارة " من نار الشوق أجيجًا" تركيب يدل ويعبر عن ما يشعر به من الحنين لشيخه الحافظ العليمي، وأنه قصد باستعمال لفظة " أجيج" شدة شوقه لشيخه و أن شوقه إليه كأجيج النار والتهابها ، وقوله أيضا واصفا حالته النفسية للحافظ العليمي: " فأين ذات الطوق عن التغريد على هذا الشوق و أين حمامة النيربين عن النياحة طول البين ، وأين شحرور منين عن المساعدة بالحنين" [65] فابن محرز الوهراني هنا استعان بذات الطوق وهي الحمامة و زقزقتها و تزيد صوتها لإيصال هذا الشوق للعليمي.

و من قوله أيضا في التعبير عن عواطفه و أحاسيسه ، رسالة إلى صديق له بدمشق قال في رسالته هذه :" و في صدره من الشوق غليل لا يدري الحريق هو أم رحيق ، وبين جفونه من الدمع قتيل لا يعلم أشريق هو أم حريق " [66] ، فهو بهذا يعبر عن ما يختلج صدره من إحساس بالاشتياق لصديقه . فالمفردات التي وظفه ا : الشوق ، غليل، الحريق، رحيق، جفون، الدمع، قتيل ، شريق، حريق. كانت في محلها للتعبير عن حالته السيكولوجية عندما كان يخط بيديه هذه الرسالة ، والتي استعان بها ليظهر لصديقه ، حزنه و شوقه لفراقه.

ب أثر القرآن في الألفاظ

إن أبرز شيء في إعجاز القرآن الكريم، هو ما يظهر فيه الفصاحة و البلاغة، والبيان، وروعة المعاني، ودقة المباني، وتنسيقها تنسيقا يتناسب مع عذوبة الأسلوب والجودة في المعنى، تم إحكامها في الربط ، بحيث تستولي على مشاعر السامعين.

[64] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته و رسائله ، ص 17

[65] المصدر نفسه ، ص 18

[66] المصدر نفسه ، ص 203

فالقرآن الكريم يتأنق في اختيار ألفاظه ، ويضعها في الموضع الذي تؤدي فيه معناها بدقة و لابد أن ابن محرز الوهراني قد تأثر بالقرآن الكريم تأثرا شديدا ، لما للقرآن الكريم من تأثير شديد على النفس بألفاظه و إعجازه اللغوي ، لأن الوهراني كان خطيبا في أحد مساجد دمشق ، فقد وردت في رسائله الكثير من المفردات المقتبسة من القرآن الكريم . ومن ذلك قوله في المنام الكبير عندما رأى نفسه يخرج من قبره ويلبي نداء المنادي إلى أرض المحشر. قال : "و قد أنساني جميع ما أقاسيه عظيم ما أعانيه من شدة الأهوال فقلت في نفسي هذا هو اليوم العبوس القمطرير" [67] حيث وصف حالته عند خروجه من قبره ، وإدراكه أنه يوم القيامة، وخوفه من هذا اليوم ، و ذعره وفزعه لما سيحدث له، والألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم في قوله هي: اليوم العبوس القمطرير" و قد وردت في سورة الإنسان في قوله تعالى " إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا " الآية 10، و اليوم العبوس القمطرير هو العصيب الشديد من الأيام.

ومن الرسائل أيضا التي وردت فيها ألفاظ متأثرة بالقرآن الكريم ، قوله في مدح الأمير نجم الدين بن مصال : " رجل من أبناء الملوك طلعته كالشمس عند الدلوك له نضرة نعيم" [68] فقد مدح هذا الأمير الذي ينتمي إلى طبقة الملوك ، وأصحاب الأمر و السلطة أنه ذو حسن و جمال ، وله وجه يشع منه الإشراق ، والرونق ، والبهجة واللفظ المقتبس من القرآن الكريم هو " نضرة نعيم" و هي أية من آيات سورة المطففين في قوله تعالى :" تعرف في وجوههم نضرة النعيم" الآية 24 كما تضمنت هذه الرسالة تعبيرا أخر من كتاب الله العزيز في قول الوهراني: " ينصرف عند المقيل إلى العارض السقيل في طلح منضود ، وظل من السعادة ممدود وفاكهة وكوب وماء مسكوب" [69] و قد وردت هذه الألفاظ و هذا التعبير في سورة

[67] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته و رسائله ، ص 24

[68] المصدر نفسه الصفحة 75

[69] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

الواقعة قي قوله تعالى:" في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب " الآية 27-28-29-30.

و أكثر رسالة وردت فيها ألفاظ من الذكر الحكيم ، كانت رسالة الوهراني إلى البدر صاحب ضياء الدين ابن الشهرزوري ، ومما جاء فيها قول الوهراني : " الريحان و النمام، والبستان و الحمام، و المقصورات في الخيام ، إلى غير ذلك من أتباع و أخدان ، وولائد وولدان ، صنوان وغير صنوان ".[70]

فالوهراني هنا يصف دار البدر صاحب ضياء الدين ، وما يدور حولها من بساتين ، ونباتات طيبة الرائحة ، والألفاظ التي استقاها الوهراني من القرآن الكريم هي: المقصورات في الخيام في قوله تعالى: " حور مقصورات في الخيام " الآية 72 ، وهذا التعبير يعني نساء مخدرات في بيوت من اللؤلؤ ، وصنوان وغير صنوان هي الآية الرابعة في سورة الرعد في قوله تعالى: وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع و نخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" وفي هذه الرسالة ذكر أن الوهراني قد زوج ابنته بشاب من أبناء مصر، هو ابن آخت زوجة القطب قاضي فليوب ، ويبدو أن ابنته لم تكن راضية بهذا الزواج و ذلك في القول التالي : " ولو علم أن الأمر يجري على هذا لجعلها أخر موؤدة سئلت بأي ذنب قتلت" [71] و المؤودة هي الجارية التي تدفن و هي حية ، سميت بهذا لما يطرح عليها من التراب ، فيؤودها أي يثقلها حتى تموت، وقد اقتبسها الوهراني من سورة التكوير في قوله تعالى: "وإذا الموؤدة سئلت(8) بأي ذنب قتلت (9)" الآية 8-9

[70] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته و رسائله ،الصفحة 183

[71] المرجع نفسه، ص 195

لقد شكل القرآن الكريم المصدر الأول للفصاحة ، والبلاغة في التراث الإسلامي ، لذلك انبهر به الشعراء، والكتاب و الأدباء عبر العصور فانعكس هذا التأثير على مؤلفاتهم و مكاتباتهم و يلاحظ هذا التأثير و الانبهار في ما أوحت به أنامل ابن محرز الوهراني.

ج – الألفاظ العامية

الألفاظ العامية هي الألفاظ المنسوبة إلى عامة الناس، أو هي ما ينطق به العامة من غير سنن الكلام أي كلام الناس و أحاديثهم العادية، خلاف اللغة الفصحى، أو اللغة الأدبية.

وتعد العامية ظاهرة لغوية اجتماعية ، لها خصائصها ، ومجالاتها ، يستخدمها أفراد المجتمع في الحياة اليومية للتواصل ، وتعبيرا عن احتياجاتهم ومتطلباتهم ويطلق عليها أيضا اللهجة " وهي مجموعة الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك فيها جميع أفرادها ، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكن هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تُيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض".[72]

هذا النوع من اللغة يستعمل في الشارع ، و المنزل ، و السوق ، ويطلق عليها كذلك "الدارجة" ، أي المألوفة و المتداولة و الشائعة و الرائجة ، وسميت بهذا الاسم لأنها تدرج اللسان على نظام صوتي معين ، و تعوّده على النطق به.

وبما أن بن محرز الوهراني قد هاجر من الجزائر إلى عدة بلدان كما ذكرنا سابقًا ، فقد تأثر بلهجتها ، ولغاتها العامية ، و من الألفاظ العامية التي وردت في رسائله كلمة " إيش" في رسالته إلى شمس الدين بن البعلبكي قال الوهراني : " إيش الحاجة إلى ذكر هذا الساعة".[73] وقوله أيضا : " ما عرف إيش يقول...إيش رأيتم من استقامة الزمان حتى تعجبُوا من هذا" وعندما بحثنا عن معنى هذه الكلمة في المعاجم اللغوية ، لم نجد لها معنى إلا في معجم

[72] ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 8 ، 1996 م ، ص 19.

[73] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته و رسائله ، ص 168

واحدٍ ، وهو المعجم الوسيط و لكن بصيغة "أَيْش" "منحوت من أي شيء بمعناه ، وقد تكلمت به العرب".[74]

و لكن من خلال سياق كلام الوهراني ، يتبين لنا أن لفظة " إيش" تدل على الاستفهام و إثارة التساؤل ، وهي كلمة كثيرة الاستخدام في اللهجة الخليجية ، ومن الألفاظ العامية أيضا قول الوهراني في نفس الرسالة " قالوا : للجمل مالرقبتك معوّجة؟ قال : أي شيء في مُقوَّم حتى تكون رقبتي مقوّمة".[75] و هذا القول قريب إلى المثل الذي يقول " الجمل ما يشوفش في عوج رقبته" ، و هذا المثل يضرب لمن لا يدرك عيوبه و ينظر فقط لعيوب الآخرين.

د – الألفاظ الغريبة الغير عربية :

لقد تأثرت الثقافة العربية بما حولها من الثقافات الأخرى ، بسبب الاحتكاك الدائم بالشعوب و الأقوام المختلفة ، مثل الثقافة الفارسية ، و اليونانية ، و الهندية ، وكان هذا الاحتكاك بارزًا بشكل ملحوظ في العصر العباسي ، و الذي يُعرف عند العرب بالعصر الذهبي.

فكلما اتسعت حضارة أمة ، نهضت لغتها ، وسمت أساليبها ، وتعددت فيها فنون القول ، ودخلت فيها ألفاظ غريبة ، للتعبير عن المسميات و الأفكار الجديدة ، فتحيا هذه اللغة ، وتتطور عبر الزمن وتُصبح أكثر صلابة.

و لابد من إلقاء الضوء على مادة "غريب" في العرف اللغوي و المعنى الاصطلاحي ثم موازنته بما جاء في مؤلف بن محرز الوهراني للخروج بالرأي الصائب ، وهنا يثُار تساؤل مفاده : ما هو الغريب؟

الغريب في اللغة هو البعيد عن وطنه ، وجمعه غُرباء.

[74] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته و رسائله ، ص 170 – 171

[75] المرجع نفسه ، ص 171 – 172

و قالت العرب : " قذفته نوبة غُربة ، أي بعيدة ، و يقال: تكلّم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام و نوادره ، وتقول : فلان يُغربُ كلامه ويُغرب فيه ، و في كلامه غرابة ، وغربُ كلامه وقد غَرُبت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة".[76]

كما وردت لفظة "غرب" في مختار الصحاح للإمام الرازي : " غرب : الغُربة و الاغتراب تقول : تغَرّب و اغترب بمعنى فهو غريب ، و غُربٌ بضمتين و الجمعُ الغُرباء و الغُرباء أيضًا الأباعيد" [77] و في القاموس المحيط ورد ذكر هذه اللفظة بالمعنى التالي : " النوى و البُعد ، كالغُربة و الإغتراب ، والتغرُّب".[78]

ومن خلال المعاني المتقدمة، يلاحظ أن مادة " غريب" تحمل في أصولها معنى البُعد من الأنس ، و الغامض من الكلام هو كلام بعيدٌ عن الفهم و الاستيعاب ، و الغرابة في اللفظ ، كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة معروفة.

وقد استعمل الكثير من العلماء هذه الألفاظ الغريبة، البعيدة عن الثقافة العربية، في مؤلفاتهم قصد التأثير في المتلقين و تشجيعهم على مواصلة القراءة، لأن هذه الألفاظ الغير معهودة من شأنها أن تثير شرارة التشويق، وتحثُّ القارئ على معرفة معانيها و البحث عنها.

وقد وظف الوهراني في رسائله ألفاظًا غير عربية ، ومن خلال جمعها ، ودراستها اكتشفنا أن بعضها ، ألفاظ فارسية ، و أخرى يونانية.

د1/- الألفاظ الفارسية

فمن الألفاظ الفارسية التي ورد ذكرها في رسائل الوهراني ، أربعة عشر لفظًا فارسيًّا و هي : طبهاجة ، الدلاء ، السكباج ، الدراريج ، اللاذ ، البيتار ، المميان ، جندار ، شربوشة ، الجُرخ ، التكاريش ، جامكية.

---

[76] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق ، محمد باسل عيون السود ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1998 م ، ص 696 – 697.

[77] محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، المجلد 1 ، مكتبة لبنان ، لبنان ، بيروت ، دط ، 1986 م ، ص 197.

[78] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي : القاموس المحيط ، ص 119.

ومن العبارات التي ذكر فيها الوهراني هذه الألفاظ قوله : " كنت أشتهي على الله الكريم في هذه الساعة في هذا المكان رغيفًا عقيبيًّا ، و زبدية طبهاجة".[79]

فكلمة طبهاجة هي كلمة فارسية ، معناها : " طعام من بيض و بصل و لحم ".[80]

ومن الألفاظ الفارسية الموظفة كذلك لفظة " اللاذ " و " الدراريح " في قوله " فعوضه الدهر عن لباس المعتق الجديد بلباس ثوب الحديد،و عن عمائم اللاذ بطراطير الفولاذ، وعن أكل الفراريج و الدراريج ".[81]

فكلمة لاذ في الثقافة الفارسية تعني" ثوب حرير أحمر" [82] ، وكلمة دراريج و هي جمع كلمة دراج تعني " طائر جميل المنظر ملون الريش لذيذ اللحم " [83]

أما باقي المفرادات فهي واردة في كتاب " الألفاظ الفارسية المعربة " كالاتي :

الدلاء أو التاسومة: ضرب من الأحذية ، تعريب تاسم ، ومعناها الضفيرة ، و القدة ، والسير و فردة الحذاء.

السكباج : مرق يعمل من اللحم ، و الخل ، معرب سكبا ، وهو مركب من "سك" أي خل ، ومن" باج " أي طعام.

الهميان : فارسيته " هميان " ، وهو كيس يجعل فيه النفقة و بشير على الوسط.

الجندار و الخاندار : حارس ذات الملك ، مركب من " جان " أي روح و نفس ، و من " دار " أي حافظ.

جنك : من آلات الطرب.

شربوشة : شربوش قلنسوة طويلة معربة عن سربوش أي غطاء الرأس.

التكاريش ، النكاريش : مفردها نكريش بمعنى الملحى معرب "نَيكْ ريش " أي جيد اللحية.

---

[79] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته و رسائله ، ص 24

[80] أدي بشير : الالفاظ الفارسية المعربة ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، ط2 ، 1987م – 1998 م ، ص11

[81] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 78.

[82] أدي بشير : الالفاظ الفارسية المعربة ، ص 142.

[83] المصدر نفسه ، ص 61.

جامكية أو الجومك : رواتب خدام الدولة تعريب جامكي ، وهو مركب من " جامه" أي قيمة ، و من "كي" وهو أداة النسبة.

الهماليج : تعريب همله أي البرذون.

الجرخ: مفرد "جروخ" من أدوات الحرب ترمى عنها السهام و الحجارة مشتقة مز " جرخ " ومعناها الفلك و تطلق على جميع الالات التي تدور ، كالدولاب ن و البسكرة و غيرهما.

البركار : معرب بركار وهي آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر و الفرجار و الفركار لفتان فيه.

بني الدردبيس : الدهية و الشيخ العجوز الفانية مركب من درد أي ألم ، ومن بيس أي رديء الاسفيداج و الاسبيداج بياض الرصاص ، و الاناك ، تعريب " سبيدانك " و معناه الانك الابيض.

د/2- الألفاظ اليونانية:

أما بالنسبة للألفاظ اليونانية التي تم ذكرها في رسائل الوهراني هي : مصطيجة ، زربون ، الاطرفيل الاكبر، أيارج ، قنطارية ، أقيمون أقريطش ، أوقليدوس.

فقد وردت كلمة " مصطيجة " في قوله :" أما ترى مالك خازن جهنم قد أخرج من النار مبحلق العينين في يده اليمنى مصطيجة ، وفي يده الاخرى السلسلة المذكورة في القرآن".[84]

و الصحيح " مصطيكى " و هي كلمة يونانية الأصل " معرب " مصطيحا " اليوناني ، يسمى الكنة أو العلك الرومي، و المراد بهذا الاسم الصمغ، أبيض ناعم طيب الرائحة فيه لدونة حلو أسود إلى المرارة يسحق و يسمى المعلف وقيل شجرها يوجد باشبلية بالأندلس ".[85]

فالوهراني بقوله هذا ، قام بوصف خازن جهنم عند خروجه من النار ، حاملا في يده مصطجية و يقال أن هذا النوع من الشجر ، كانت أغصانه تستخدم للضرب ، وظف

[84] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 26.

[85] داوود بن عمر الانطاكي : تذكرة أولي الالباب و الجامع للعجب و العجاب ، تحقيق ، أحمد شمس الدين الجزء الاول ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، دط، 1971م ، ص 289.

الوهراني هذه الكلمة ليصف هول موقف يوم القيامة ، و بقوله : " في يده الأخرى السلسلة المذكورة في القرآن " ، يقصد الآية 32 من سورة الحاقة في قوله تعالى : " ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذرعا أسلكوه ".

كما وردت لفظة يونانية أخرى في رقعته على لسان بغلته إلى الأمير عز الدين موسك ، قال الوهراني فيها ذاكر الفظة الاطريفل : " لأنه في بيئة مثل المسك ، و العنبر ، و الاطريفل الأكبر " [86] حيث عام الوهراني بوصف المولى عز الدين حسام أمير المؤمنين في منزله بالمسك زهر ضرب من الطيب ، و العنبر، والاطريفل الاكبر، وهذه الأخيرة لفظة يونانية معناها :" هو ما ركب من الاهليجات على يد أندروماخس وهو من الأدوية التي تبقى قوتها إلى سنتين ونصف" [87] فهو من الأدوية جليلة النفع ، و جل نفعه في أمراض الدماغ.

وذكر الوهراني لفظا آخر ، في رسالته إلى أبي القسم الاعور ، فقال عنه : " يا مولاي الشيخ الإمام الزاهد دبوس الإسلام لت الشريعة جرخ الفقهاء قنطارية العلماء".[88]

فكلمة " لت " تعني القدوم أو الفأس الكبيرة ، و كلمة " جرخ " كما ذكرناها سابقا نوع من أدوات الحرب ، أما كلمة قنطارية فهي : " نوع من الروح ، وهي لفظ من أصل يوناني ، وسميت هكذا لأنها تصنع من نوع من الخشب ، و قد و صفها مرضي بن علي وصفا دقيقا قال : و بنو الاصفر و جالسهم من الروم يعتدون رماحا من الخشب الزان و الشوح و ما شاكله و يسمونها بالقنطاريات ، و ليست بالطويلة و يطعنون بها".[89]

و لم يقتصر توظيف الوهراني للألفاظ اليونانية فقط ، بل تعداها أيضا ، إلى توظيف الشخصيات و الأعلام اليونانية.

---

[86] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله ، ص 91

[87] داوود بن عمر الانطاكي ، تذكرة أولي الالباب و الجامع للعجب و العجاب ، ص 52

[88] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 128.

[89] جمال الدين محمد بن سالم بن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق ، جمال الدين الشباك ، الجزء1 ، دار الكتب و الوثائق القومية ط7، 1957م ، ص 183.

حيث ذكر شخصية " أوقليدوس" في رسالته إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة تاج الكندي قال فيها ذاكرا إياها : " ثم يقدم له فرسا و رمحا و درعا و يقول له : حل لنا شكلا من أقليدوس"[90] فلفظه إقليدس أوقليدوس هي من أصل يوناني مركبة من " أقل بمعنى المفتاحّ ، و "دس" بمعنى المقدار ، و قيل الهندسة ، أي مفتاح الهندسة ، وفي القاموس :" هو صاحب جو مطربا ، و معناه الهندسة ، وهو إقليدوس بن نوقطرس بن برنيفس ، المظهر للهندسة، المبرر فيها ، أقدم من أرخميدس و غيره من الفلاسفة الرياضيين ".[91]

كما قام الوهراني أيضا ، بتوظيف ألفاظ لم نجد لها معنى في القواميس و المعاجم و هي : عين سردا ، البابوع ، التدقنصرم ، التبضرم ، الارغن ، المقرى ، الملاسي، و هذه الاخيرة قمنا بفهم معناها من سياق الكلام ، في قول الوهراني : " أما الله سبحانه فقد سهل الخير الملاسي في يدك ، و القدر تفور أغرف وهات".[92] و هذه الكلمة لعلّها نوع من الطعام كانت هذه هي الألفاظ الغريبة عن اللغة العربية التي وظفها بن محرز الوهراني في رسائله ، و توظيفه لها يكشف عن ثقافة الوهراني الواسعة التي تشبعت و تنوعت بتنوع رحلاته، و هجرته و إنتقالهمن مكان إلى أخر.

[90] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله، ص 228.

[91] محمد بن إسحاق النديم المعروف إسحاق بأبي يعقوب الوراق : الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء و المحدثين و أسما ، كتبهم ، تحقيق : رضا تجدد المازنداري، الجزء 1، د ط ، دت ، ص 325.

[92] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 201.

ج – خواتم الرسائل

خاتمة الرسالة هي آخر شيء فيها ، وتعد القاعدة التي يرسى عليها العمل الأدبي ، لأنها آخر عنصر من الرسالة ، و أخر جزء يبقى في ذهن المتلقي، " و الختام يكون الكلام مؤذنا بتمامه بحيث يكون واقعا على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئا بعد ".

وكما اشترط في الرسالة حسن الاستهلال، و الابتداء، اشترط حسن الختام، و لابد أن تكون حسنة، ذات جودة، ومناسبة للموضوع الذي سبقها.

و قد تعددت أسماؤها ، فسماها القزويني بالانتهاء فقال :" ينبغي للمتكلم أن يتألنق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذب لفظا ، و أحسن سبكا ، و أصح معنى ، الأول الابتداء...ثانيا التخلص...و ثالثا الانتهاء ، لأنه آخر ما يعيه السامع و يرتسم في النفس" [93] كما أطلق عليها بدر الدين بن مالك بـ حسن الخاتمة ، في قوله: "يجب على البليغ أن يختم كلامه بأحسن خاتمة ، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع ، و ربما حفظة من دون سائر الكلام ، فليجتهد في نضجها و حلاوتها و في قوتها و جزالتها و تضمنها لمعنى تام يؤذن السامع بانتهاء الكلام" [94] كما أطلق عليها الشيخ تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي في كتابه " خزانة الأدب و غاية الإرب " بحسن المقطع حيث ذكر بأن هذا النوع ذكره ابن أبي الأصبع و أنه من مستخرجاته ، وهو موجود في كتب غيره بغير هذا الاسم ، فإن التيفاشي سماه حسن المقطع.

فالانتهاء معروف وأول إشارة إليه كانت كلام شبيب بن شيبة الذي سماه جودة القطع ،و كان القاضي الجرجاني قد تحدث عن حسن الخاتمة في قوله " و الشاعر الحذق يجتهد في

---

[93] جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القروينى الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة ، شرحه، عبد الرحمن البرقوتي ،دار الفكر العربي مصر ، ط1، 1904م ، ص 429، 434.

[94] بدر الدين بن مالك الشهير بابن النظام: المصباح في المعاني و البيان و البديع: تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1989، ص 273.

تحسين الاستهلال و التخلص ، و بعدها الخاتمة فإنها من المواقف التي تستعطف الأسماع و تستميلهم".[95]

و الانتهاء ، أو جودة القطع ، أو براعة القطع أو حسن الخاتمة ، كلها فن واحد ، الهدف منه أن يحرك النفس عند ختام العمل الأدبي أو الكلمة ليبقى أثرها عالق بالنفوس.

و الحسن في الخاتمة يرجع إلى المعنى المختوم به ، كالتعزيز ، و التوقير ، و كذلك سهولة اللفظ ، و حسن السبك ، و تجنب الحشو ، و كما ذكرنا سابقا في الاستهلال ، وتعدد صيغ الابتداء، كذلك الخاتمة تتخذ عدة أشكال متنوعة.

فلم يقتصر الوهراني في خواتم رسائله على شكل واحد فقط ، بل لجأ إلى عدة صيغ في الانتهاء كالختام بعبارة " السلام " أو الدعاء ، أو الاستغفار ، أو الاختتام بأبيات شعرية.

ج/1 – الاختتام بعبارة "السلام"

لقد اعتبر القلقشدي هذا الضرب من الاختتامات من رسوم الختام المهمة ، التي شاعت في المكاتبات الرسمية و الشخصية ، منذ عصور الإسلام الأولى ، في قوله : "وكانت خاتمة الكُتب عندهم بالسلام".[96]

و تعتبر عبارة "السلام" من عبارات التحية المتعارف عليها على مر العصور ، منذ صدر الإسلام ، حيث أعطى لها قيمة أخلاقية في المجتمع ، قال يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو أن رجُلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أي الإسلام خيرٌ؟ قال : تُطعم الطعام ، وتُقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" [97] ولقد كانت التحية بالسلام ، من أعظم أساليب التحية في الإسلام ، لأنها تحية أهل الجنة ، كما أننا

---

[95] القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتني و خصومه ، تحقيق ، محمد أبو الفضل ، علي محمد البجاوي ، المجلد1، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركائه ، القاهرة ، د ط ،1960م ،ص 48.

[96] أبو العباس أحمد القلقشدي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، الجزء 8 ، ص 126.

[97] أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، دار ابن كثير للطباعة

نحي الرسول صلى الله عليه و سلم ، ونحي أنفسنا و عباد الله الصالحين في صلواتنا بقولنا " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى و بركاته السلام علينا و على عباد الله الصالحين".

و لم تقتصر عبارة "السلام" في إلقاء التحية فقط ، بل شاعت الكثير من الرسائل و المكاتبات لكثير من الكتّاب و الأدباء خاصة في عصر صدر الإسلام و العصور اللاحقة التي اختتمت بعبارة السلام لاسيما في القرن الرابع الهجري ، نذكر من بينهم بديع الزمان الهمذاني الذي أورد كثيرًا من الرسائل في كتابه " رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني" المختتمة بالسلام ، منها رسالته إلى القاضي أبي نصر الميكالي قال في خاتمتها : " فإن قبلت الشفاعة فالمجد يأبى ألا يعمل عمله ، وان ردت فليست كلمة السوء مثله و السلام". [98] و رسالته إلى الأمير أبي أحمد خلف بن أحمد : " و الأمير أيّده الله يأخذ هذا المعنى فيكسوه لفظًا لين المأخذ سهل المقطع و يرقيه إلى سمعه و يُجيبُ عبده في الحال بما عنده ، و السلام".[99]

ومن خلال إطلاعنا على رسائل ابن محرز الوهراني ، وجدنا عددًا كبيرًا من الرسائل المختومة بالسلام وهي سبعة عشر رسالة :

1 – الرسالة على لسان جامع دمشق.

2 – الرسالة إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني.

3 – رقعة على لسان بغلته إلى الأمير عز الدين موسك.

4 – رسالة إلى تقي الدين.

[98] بديع الزمان الهمذاني : رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني ، مطبعة هندية ، مصر ، ط 3 ظن 1898م ، ص 148

[99] المصدر نفسه ، ص 165.

5 – الرسالة التي بعث بها إلى أبي القسم الأعور المُلقب بالعون.

6 – الرسالة التي بعثها إلى التاج الكندي جوابًا عن رقعة.

7 – رسالة يمين كتبها إلى ابن مسلم الشاهد.

8 – رسالة إلى قاضي الفاسقين و هو بمصر عن نائبه بدمشق.

9 – رسالته إلى شمس الدين بن البعلبكي.

10 – رقعة إلى شمس الدولة بن منقذ.

11 – كتب نسخة عهد تقليد عن قاضي الفاسقين.

12 – له نسخة إجارة إلى البدر صاحب ضياء الدين ابن الشهروزي.

13 – رقعة إلى القاضي الفاضل رحمه الله.

14 – رسالته إلى القاضي الأثير بن بنان.

15 – رسالة أخرى إلى القاضي الفاضل.

16 – رسالة إلى بعض أصدقائه.

17 – رسالة أخرى بعث بها إلى شمس الدين البعلبكي.

ولأن الرسائل المختومة بـ "السلام" عند الوهراني كثيرة ، إلاّ أن مدلولها يتغير بحسب المُرسل إليه ، ومُناسبتها لمقامه ، فهذه الرسائل منها ما هو مبعوث للوزراء و الحكام ، ومنها ما هو مبعوث إلى القضاة و الأصدقاء و الأقارب.

و قد لاحظنا أن الرسائل المرسلة إلى الوزراء و الملوك و الحكام ، كانت صيغ الاختتام فيها مختلفة ، فمن ذلك مثلا رسالته إلى الأمير نجم الدين بن مصال قال في خاتمتها : " و

السلام عليك و رحمة الله و بركاته". [100] في هذه الرسالة كانت صيغة الانتهاء تامة ، تدل على إدراك الوهراني لتمام التحيّة ، والله سبحانه و تعالى أمرنا في كتابه العزيز بإتمام التحية في قوله : " فإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها" سورة النساء الآية 86 ، فعبارة السلام التام هنا، تدل على طلب التقرب من الأمير نجم الدين ، فهو أمير ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعة ، لذلك كانت له خاتمة راقية اللغة احترامًا و تقديرًا و إجلالاً له.

و من الأمراء كذلك نذكر تحية الأمير عز الدين موسك الذي بعث الوهراني له رقعة على لسان بغلته ، قال في نهايتها : "وشقت الزحام حتى طرحت خدها على الأقدام ، ورأيك العالي و السلام" [101] و قد حققت هذه العبارة انسجامًا و اتساقًا لفظيًا مع الإيقاع الداخلي للخاتمة ، لأنّها سبقت بمحسن بديعي ، وهو السجع في الكلمات الموظفة : الزحام ، الأقدام ، السلام ، مما يجعل هذا الإيقاع الداخلي يشد الأسماع ، و يستهوي النفوس ، ويدل على القدرة البلاغية التي يتمتع بها الوهراني ، وهي خاتمة تدل على طلب التقرّب من الأمير عز الدين بن موسك.

ومن صيغ الختام أيضا رسالته إلى مجد الدين بن عبد المطلب وزير تقي الدين جاءت خاتمتها فريدة من نوعها قال : " فالله يكشف له ما هو عليه من الخيانة و رقة الدين وقلة الأمانة و يكشف هذه الغمة على يديك و السلام الأتم عليك و رحمة الله و بركاته". [102] هذه الرسالة أيضا جائت تامة التحية ، كما وظف فيها الوهراني السجع لتكون خاتمة لها أثر بليغ في نفس المتلقي ومن عبارات الختام التي لفتت انتباهنا ، والتي كانت لها صيغة خاصة ، رسالة بن محرز الوهراني إلى الأمير شمس الدين البعلبكي ، قال في خاتمتها : " و هو

[100] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 85.

[101] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[102] المصدر نفسه ، ص 160.

حسبي ونعم الوكيل و لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم و السلام التام عليه ورحمة الله و بركاته".[103]

هذه الصيغة تدل على أن الوهراني يُجيدُ انتقاء و اختيار عبارات الختام المناسبة للمرسل إليه ، لأنه يدرك جيّدا أن متلقيها ذو مكانة مرموقة ومنزلة عالية بارزة في مجتمعه ، فلابد أن تكون صيغة الانتهاء ملائمة للشخصية.

وخواتم هذه الرسائل تدّل على تقرّب الوهراني من الأمراء ، و الوزراء طمعًا في جاههم أو مالهم أو للتقرب حبًّا فيهم ، لأنّ صيغ خواتمها اختلفت عن باقي الرسائل الأخرى.

ج /2 – الختام بالدعاء

يعتبر الاختتام بالدُعاء المرسل إليه من أكثر الأساليب الفنية شيوعًا و انتشارًا ، وخاصة في السائل الإخوانية ، التي انصبت على التهاني و التعزية و الشكر و الشوق وما إلى ذلك.

و كما ذكرنا سابقًا أن من أنواع الاستهلال في الرسائل افتتحها بالدعاء ، و هو أيضا من العادات التي انتهجها البلغاء و مؤلفوا وكتّاب الرسائل في اختتام أثارهم الأدبية بالجمل الدُعائية.

ومن ذلك مثلاً نورد ما كتبه الصحاب بن عبّاد يهنئ الأمير عضد الدولة بولادة ابنان توأمان له : "و سألتُ الله إتمام ما أدناه من الأميرين السيدين من سعادة لا يهتدي إليها الاختيار علُوًّ ، و لا ترتقي إليها الأفكار سموًّا...و يشيدا قواعد الفخر ، ويرحما صروف الدهر ، ويغيظا أطراف الأرض ، و هو تعالى قريب مجيب" [104] وقد عرف العرب أسلوب الدُعاء في نثرهم ، و شعرهم ، و استحسنوه و أجادوا له و دعوا الله بلهفة و تبتل.

---

[103] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 231.

[104] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : ديوان المعاني ، شرحه : أحمد حسن بسج ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1994 م ، ص 96.

و قد تطرق بن أبي الإصبع إلى ضروب عديدة من الخواتم القرآنية في قوله " و جميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن و نهاية الكمال لأنها بين الأدعية ووصايا و فرائض و تحميد وتهليل إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعدها تطلّع و لا تشوّف إلى ما يقال كالدُعاء الذي اختتمت به سورة البقرة" [105] و بما أن القرآن الكريم يحتل المنزلة الأعلى في البلاغة و الفصاحة و البيان فلابد أن يكون كتّاب الرسائل متأثرين به ، وقد أكد القلقشدي بأن كُتابها لم يلتزموا بخاتمة معينة في رسائلهم و ذلك في قوله : " واعلم أنه لم يكن لهم ضابط لإختتامات و لا ما يقتضي ملازمة اختتام معين لصدر معين ، بل ذلك موكول إلى رأي الكاتب لا يرعى في غير علو الرتبة و هبوطها ، حيث تفارقت رُتب الاختتامات عندهم".[106]

ومن خلال اطلاعنا و تصفحنا لرسائل ابن محرز الوهراني وجدنا ثلاث رسائل اختتمها بالدُعاء ، وأولها رسالته إلى القاضي الفاضل قال في ختامها : " ومن هذه أوصافه ، أن يحمد وصافه ، فأسأل الباري تعالى أن يحمده العافية في ماله ، وأن يبلغه النهاية في أماله ، بحمد أله".[107]

و ثانيها رسالته إلى صديق له بدمشق قال عند ختامها: " فأسأل الباري بعزته أن يجمع الشمل بحضرته عن قريب ، إنّه سميع مجيب". [108] فهو بخاتمة رسالته هذه يدعوا الله عز وجل أن يلتقي صديقه في أقرب وقت وهي تدل على شدة اشتياقه له.

وما لاحظناه على خاتمة هاتين الرسالتين ، أنه وظّف محسنًا بديعيًا وهو السجع الذي أضفى لمسة بلاغية موسيقية على خاتمة رسالته إلى القاضي الفاضل في : أوصافه ، وصافه ،

---

[105] ابن أبي الإصبع المصري : تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القران ، ص 620

[106] أبي العباس أحمد القلقشدي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج 8 ، ص 141

[107] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 113.

[108] المصدر نفسه ، ص 205.

ماله ، أله ، و في رسالة صديقه : عزته ،حضرته ، قريب ، سميع ، مجيب ، وهذا ما يدل على أن الوهراني كان من الفصحاء البلغاء المجتهدين في فن القول ، فهذه الكلمات التي وضفها أضفت رونقًا و نغمة موسيقية للخاتمة ، وما جعل هذا السجع أكثر بلاغة و تأثيرًا هو ارتباطه بتوظيف القران في خاتمة رسالته التي كتبها إلى ابن المطلب قال : "فأسأل الذي يجري بأمره المقدور ، ويعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور ، أن يمتعه بطول بقائه ، ويطلعه على السار من تلقائه بمنه و طوله".[109]

فتأثر الوهراني بالقران الكريم لم يكن فقط في المتن و العرض ، بل امتدّ إلى الخاتمة أيضًا ، فنهاية هذه الرسالة مقتبسة من القران في قوله تعالى " يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" سورة غافر الآية 19.

و هذا ما جعل خواتم هذه الرسائل الثلاث الأكثر فصاحةً و بلاغةً و بيانًا ، توظيفه للسجع الذي أعطى رنيمًا للكلام ، بحيث يكون لها الوقع و الأثر الحسن في نفس السامع ، وتوظيف القران الكريم العجزة الخالدة ، وهو أحسن الحديث ، وأعلى درجة من الفصاحة ، وأرفع رتبة في البلاغة أضفى على الخاتمة تميّزًا و خصوصية.

ج/3 – الختام بالشعر

ويلاحظ أيضا شيوع ظاهرة اختتام كتّاب الرسائل مكاتباتهم الاخوانية و الأدبية بالشعر إذ كانوا كثيرًا ما يوظفون موروثهم الثقافي ، وتراثهم الشعري في ترسّلهم ، وهذا يعود لرصانة و اتزّان ذلك التراث الأدبي وجماله ، وشدّة أسره ، وقوة تأثيره في السمع و النفس ، إضافة إلى مناسبته لظرف رسائلهم.

و من أكثر الشواهد البليغة في هذا الباب ، ما اختتم به أبو بكر الخوارزمي رسالته إلى وزير خورازم مشاه لما نكب وكان خريجة هرجة :

[109] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، 218.

إِنَّ الأَمِيرَ هو الذِي يُضْحِـــي أَمِيـرًا يَومَ عَزْلِهِ

إِنْ زَالَ سُلطَانُ الوِلَا يَةِ كَانَ فِي سُلطَانِ فَضْلِهِ [110]

ففي هذه الرسالة كان وزير خوارزم قد خرج من منصبه ، فبعث له أبو بكر بهذه الرسالة ، خاتمًا إياها بهاذين البيتين الجميلين اللذين أثبت فيهما الخوارزمي أن الأمير الحقيقي تتأكد إمارته يوم عزله ، فالفضل يكون في النفس ، و ليس في الكرسي ، ومن كان صاحب نفس أبيّة عزيزة فاضلة فهو الأمير الحقيقي في نظره.

و هذا يدل على عمق الرابط بين فحوى الرسالة و خاتمتها، وتدرج المتن و انحداره إلى النهاية المناسبة، علاوة على ذلك، قوة استثمار ما يمتلكه الكاتب من ثراء محفوظ من الشعر.

و كما استهل بن محرز الوهراني رسائله بالشعر ، اختتمها بالشعر ، ولكننا وجدنا رسالة واحدة فقط ، من بين ما كتبه ، و التي أنهاها بأبيات شعرية ، و هي رسالته إلى القاضي الأثير بن بنان ، ختمها بأربعة أبيات شعرية قال فيها :

يَا أَيُّهَا القَاضِي الأَثِيرُ نِدَاءُ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ أَحَدًا سِوَاكَ خَلِيـــــلًا

أَيَجُوزَ فِي دِينِ الرِئَاسَةِ أَنْ أَرَى مِنْ جُورِ حُلْمِكَ فِي ذِارَك قَتِيلًا

أُودِي عَلِيل و هُو شَيْخُ ضَلَالَةٍ بِالنَّحْسِ إِحْسَانِي فَظْلْتُ عَلِيـلاً

لَوْ كُنْتَ فِي يَومِ السَقِيفَةِ حَاضرًا لَشُفِيتَ مِنْ شَيخِ الضَلَالِ غَلِيلاً[111]

وقصة هذه الرسالة أن الوهراني عندما أعيته الحيل مع ابن بنان كتب له هذه الرسالة التي يتعهّدُ فيها بعدم التعرض له بكلمة ، إكرامًا لمعلمّه إبليس.

[110] أبو بكر الخوارزمي : رسائل أبو بكر الخوارزمي ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ط 1 ، 1297 م ، ص 30.

[111] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 19.

فالوهراني في هذه الرسالة يروي أنه كان متجها إلى القاهرة ، فلقي صدفة شيخًا ، وصفهُ بأنه طويل القامة ، ويرتدي زي الصوفية ، و يبدو عليه التعب و أثر السفر ، ولما سأله الوهراني من هو ، فأخبره أنه كان يغبور ملك الصين ، لأن هذا الشيخ سمع بأنه مَالَ إلى دين الإسلام ، فتوجه إليه وردّه عن رأيه ، فاستغرب الوهراني من هذا من يكون ، فردّ عن نفسه ، فقال له : أنا شيخك و معلمك إبليس.

فأخذ الوهراني يحكي له سوء معاملة القاضي الأثير له ، و لمن طرق بابه من المستضعفين حتّى همّ هذا الشيخ بالرحيل و غاب عن عيني الوهراني و أصبح دخانا متصاعدًا في السماء. فقال الوهراني في رسالته هذه : " فليطب المولى قلبه و يشرح صدره ، فهو حياة الشيخ لا نالك مني مكروه أبداً إكراما لوصية المعلم و خوفًا على نفسي منه".[112] و أتبع هذا القول بتلك الأبيات الشعرية التي ذكرناها سابقًا.

ويلاحظ شدة الملائمة بين فحوى الرسالة ، وبين دقة الاختتام الذي صاغه الوهراني ، وقوة الصلة بينهما : ومن خلال هذا الشاعر الشعري الرصين الذي أبدعه الوهراني في هذه الرسالة يبين الصلة الوثيقة بين غرض رسالته ، وبين دقة الخاتمة التي اختصها بها ، و إحكام معانيها ، وربما يكون السبب في اختيار الوهراني كخاتمة هو لما يحمله من دلالات إيحائية عميقة وبليغة ، ولما يجسّده من معاني جليلة ، وحِكم سديدة نادرة.

[112] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 19.

2 – المحسنات البديعية

الدراسة الموسيقية في نثرنا الأدبي مهمة جدا، لأنها مرتبطة بالألفاظ الذي تتألّفُ فيما بينها. مشكلة بذلك جرسًا موسيقيًا عذبًا ، و إيقاعًا خاصًا مُفعمًا بالعواطف الجيّاشة ، و الانفعالات المعبّرة عن مدى تأثر المتلقي بكل هذا ، ولهذا كان يذهب الكتّاب إلى تزيين كتاباتهم بزخارف لفظية كثيرة ، ومتنوعة و التي تعرف في أدبنا العربي المحسنات البديعية ، وعِلم البديع هو " أحد علوم البلاغة ، كعلم المعاني و علم البيان غايته عرض مختلف وجوه التحسين المعنوي و التزيين اللفظي التي تميزت بها أثار المبدعين من أهل الشعر و النثر في اللغة العربية" [113] و هذا العلم يستعين به الأديب لإظهار القدرة البلاغية له ، و التعبير عن مشاعره و عواطفه لإرضاء الأسماع و استمالة القلوب.

و أهم المحسنات البديعية التي وظفها الوهراني في رسائله ، السجع ، الجناس ، و الطباق.

أ – السجع

يعتبر السجع أحد أهم الجوانب المهمة في التصنيع و زخرفة الأساليب ، ويعرّف بأنه " توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحدٍ ، و هذا هو معنى قول السكاكي السجع في النثر كالقافية في الشعر" [114] وما دام الإفهام لا يكتمل إلا بالمثل ، فقد حاولنا استخراج بعض الأمثلة الموجودة في رسائل الوهراني ، مثلا في رسالته إلى شمس الدولة بن منقذ ، ورد الكثير من السجع في هذه الرسالة ، و هو كالأتي :

التسويف ، التشريف ، التعلق ، التكلف ، التخلف في قوله : " يجود بالتسويف ، دون التشريف ، و يتعلل بالتكلف عن التخلف"

الغزير ، الوزير ، قال : " ويخوّف بالجمع الغزير ، لمثل ابن الوزير"

[113] ايميل بديع يعقوب ، ميشال عاصي ، المعجم المفصل في اللغة و الأدب ، ص 880.

[114] عبر العزيز عتيق ، عِلم البديع ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 215.

الدجاج ، النعاج ، الحجاج : في قوله " و يتحقق أن سكينه في رقاب الدجاج و أبناء النعاج ، أمضى من سيف الحجّاج".

المنتاب ، العتاب ، في قوله " ولا يقدم للمنتاب ، غير التفريع و العتاب"

النزيل، الهزيل، في قوله " ولا يمد للنزيل ، غير العرض الهزيل"

الخوان، الإخوان في قوله: "وملأ له الخوان من لحوم الإخوان"

الإدام ، الأقدام في قوله : " طلب الأكل بالإدام ، أطعمه من الندى في الأقدام"

الأكراد ، المُراد ، في قوله : "و الأكراد إلى أرض المُراد"

الدواب ، الجواب في قوله "وأمّا الدواب ، فما لها عنده جواب"

عمامته ، لهامته في قوله : " لأنه ما أعلف قط إلا لعمامته ، ولا أسرج إلاّ لهامته"

البعير ، الشعير في قوله " لكنه يدعو بالبركة للبعير ، وعوضه بالشعر عن الشعير"

الخيل ، الذيل في قوله: " يعلق على رؤوس الخيل ، أجزاء من كتاب الذيل"

بابه ، نَابُه في قوله : " و هو مع هذا يقف على بابه ، و يكشّر عن نابه"

رسوله ، وصوله ، جوابه ، رُكابه في قوله :" أن يجعل رسوله وصوله ، و جوابه ، ركابه"

الأبدية و العضدية في قوله : " و بعض من التسويفات الأبدية ، و المواعيد العضدية".

و هذا السجع أضفى نغمة موسيقية حلوة ، على ألفاظ الرسالة ، فعند قرائتك لهذه الرسالة لا تُحس بذلك الملل و الجفاف ، بل تحس بهذه الموسيقى العذبة التي تزيد من رغبتك في إكمال هذه الرسالة ، وليست هذه الرسالة الوحيدة ، بل هناك كثير من الرسائل الموظف فيها

هذا النوع من البديع ، نذكر أيضا من بينها رسالته إلى صديق له بدمشق ، والتي كَثُر فيها السجع و من أمثلته :

الشوق ، الحريق ، رحيق ، شريق ، غريق.

نجاته ، أمانته في قوله : " وجوه الكتاب ظهرت نجاته ، وكملت أمانته"

زاخر، فاخر، أخر في قوله: " بحره في الفقه زاخر، وجوهره في النسب فاخر، وله الفضل أول و أخر".

الفريدة ، الخريدة في قوله : " لا يتولع باللفظ إلا بالفريدة ، ولا يخلو منزلهُ إلا بالخريدة".

الجمان ، الزمان في قوله : " ينظم فاخر الجمان ، في جيد الزمان"

الزهر ، الدهر ، في قوله : " وينضد يافع الزهر في جبين الدهر"

الأيّام ، اللئام ، أكمام ، الأعوام ، العوام.

النجوم ، التخوم في قوله : "ويرفع ، يمدحه إلى النجوم ، ويحط بذمه إلى التخوم"

الهلال ، التلال ، الخلال ، الحبال ، السيال ، الحجال ، الرجال.

حباله ، شماله ، أشراكه ، أورائه.

مصفاته ، صفاته في قوله : " ودعاه إلى مصافاته كمال حسن صفاته"

تمام ، غمام في قوله : " فحصل منه على بدر تمام في غمام"

الحالة ، الاستحالة في قوله : " إلى أن حسده الدهر على هذه الحالة ، فجرى على عادته في الاستحالة"

الإحتشام ، الشام في قوله : " فجفاه بعد الاحتشام و طرحه إلى بعض مدائن الشام".

السماني ، البُستاني في قوله : " من الحيين السماني ، وورد البستاني ، بحر العلم الساباني" يديه ، خديه ، لقائه ، تلقائه

وما استخلصناه أن الجناس كان له أثر بلاغي كبير على هذه الرسائل و ألفاظها ، ويكمن هذا الأثر في إحداث ذلك الجرس الموسيقي الذي تطرب له الأذن ، وقد أظهر الوهراني من خلاله أنه قادر على مجاراة أهل البلاغة ، من خلال ما وظّفه في هذه الرسالة.

ب – الجناس

الجناس محسن بديعي معنوي ، من فنون البديع اللفظي ، و أول من تفطن إليه كان عبد العزيز بن المعتز و هو يعرّفه بقوله : " التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى من بيت شعري و كلام ، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها" [115] وهذا يعني اتفاق اللفظتين كتابةً ونُطقًا و اختلافًا في المعنى ، و هو لا يقل أهميّة عن السجع ، واستخدامه يظهر مقدرة الكاتب على التلاعب بالألفاظ ، و قد سماه ابن سنان الخفاجي بـ المجانس ، و ذلك في قوله : " ومن التناسب بين الألفاظ المجانس و هو أن يكون بعض الألفاظ مشتقًا من بعض إن كان معناها واحدًا أو بمنزلة المشتق إذا كان معناها مختلفًا ، أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى".[116]

فإن صح الاستنباط من هذا التعريف كان مفهوم الجناس عند عبد العزيز بن المعتز و ابن سنان الخفاجي مفهومًا عامًا يشمل الكلمات المتجانسة الحروف ، سواءًا تجانس معنى أم اختلفت.

و الجناس أقسام : جناس تام ، و جناس التركيب الذي بدوره ينقسم إلى قسمين : الجناس المتشابه و الجناس المفروق ، و الجناس اللاحق.

[115] عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، ص 195.

[116] ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، دط ، 1976 ، ص 121.

و سنقوم بإيراد كل نوع مع تعريف له ، و تمثيل من رسائل الوهراني.

1 – الجناس التام :

هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور : أنواع الحروف ، وأعدادها ، وهيئتها الحاصلة من الحركات و السكنات ، وترتيبها" [117] و هو أكمل أنواع الجناس إبداعًا و أعلامًا مرتبة. وهو عدة أقسام :

أ – الجناس المماثل : و هو ما كان ركناه أو لفظاه من نوع واحد من أنواع الكلمة ، بمعنى أن يكون اسمين أو فعلين أو حرفين ، مثل قوله تعالى : " ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة" سورة الروم 55 ، فالجناس هنا بين اسمين متماثلين في كل شيء هما " الساعة" و "ساعة" و قد ورد هذا النوع من الجناس في رسائل الوهراني ، نذكر من بينها رسالة المنام ، حيث ورد في قوله : " و في هذه المواطن كما عملت رائعة الجنان ، ورائحة الجنان".[118]

فالجناس هنا يكمن في لفظتي " الجنان " ، والمقصود بالجنان الأولى الجنان الأرضية و هي الحدائق و الجنان الثانية يقصد بها الجنان الأخروية ، بما أن المنام يتحدث عن يوم القيامة.

كما ورد الجناس من هذا النوع أيضا في نفس الرسالة ، في قول الوهراني : " وعدم الصبر و السلوان عن دير سلوان" [119] فالسلوان الأولى بمعنى الصبر التحمل ، والسلوان الثانية يقصد بها دير سلوان ، ولكننا لم نجد هذا المكان في معجم البلدان ، بل ما وجداه عين سلوان وهي "عن نضاحة يتبرك بها و يستشفى منها بالبيت المقدس تحت بئر أيوب عليه السلام " [120]

---

[117] إيميل بديع يعقوب ، ميشال عاصي : المعجم المفصل في اللغة والأدب ، ص 536.

[118] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 19.

[119] المصدر نفسه ، ص 20

[120] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحمودي الرومي البغدادي ، معاجم البلدان ، م 5، دار صادر ، بيروت ، دط ، ص144

كما ورد هذا المحسن البديعي في رقعته التي كتبها على لسان جامع دمشق ، في قوله : " فقدم أيها الملك السعيد لنفسك ما تجده غدا في رمسك و خد هذا المذكور في الحساب قبل يوم الحساب " [121] و كما ذكرنا سابقا أن هذه الرسالة تتضمن عدة رسائل ، من المساجد دمشق إلى مسجد جلق ومن مسجد جلق إلى ابن أبي عصرون ، و منه إلى المساجد ، ومن المساجد إلى الملك العادل" فالجناس المماثل في هذا القول يكمن في كلمتي الحساب الأولى ، و الحساب الثانية ، فيقصد الوهراني بالأولى ربما العدد أو القدر أو الدفع لان المساجد تشكي حالها و ما آلت عليه أحوالها و الحساب الثانية يقصد بها الوهراني يوم القيامة .

و المثال الأخير من هذا النوع من الجناس استخرجنا ، من رسالة الوهراني التي كتبها إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني رحمه الله و ذلك في قول الوهراني: " و أعلله بالشعر على ماء الشعير ، و بفقه ابن الجلاب عن شراب الجلاب " [122] يكمن الجناس هنا في لفظي ابن الجلاب و الجلاب ، فالأولى هي شخصية و هو " أبو القاسم عبد الله بن الحسن الجلاب المصري " [123] المعروف بابن الجلاب ، أما الثانية فقد ورد ذكرها في كتاب " الألفاظ الفارسية المعربة" بـ " العسل أو السكر عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد ، مركب من "كل" أي ورد، ومن "آب" أي ماء".[124]

ب – الجناس المستوفى

هو ما كان ركنها، أي لفظها ، من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة ، بأن يكون أحدهما اسما و الأخر فعلا ، أو بأن يكون أحدهما حرفا و الأخر اسما أو فعلا ، فمن أمثلة الجناس المستوفي بين الاسم و الفعل قول محمد بن كناسة في رثاء ابن له :

---

[121] ركن الدين محمدبن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 71.

[122] نفس المرجع ص 73

[123] عبد الباسط قوادر : ابن رشد القفصي و آثاره العلمية ، الدار التونسية للكتاب ، تونس ، دط ، 2011، ص 131.

[124] ادي شير : الالفاظ الفارسية المعربة ، ص 42.

و سَمَيْتُهُ يَحْيَى لِيَحيَا وَ لَمْ يَكُنْ إلىَ رَدِّ أَمْرِ الله فِيهِ سَبِيلُ

تَيَمَمْتُ فِيهِ الفَالَ حِينَ رُزِقْتُهُ وَ لَمْ أُرِدْ أَنْ الفَالَ فِيهِ يَفِيلُ [125]

فالجناس هنا بين " يحي " الاسم، و" يحيا " الفعل، فهما متشابهان لفظا مختلفان معنى و نوعا . و قام الوهراني بتوظيف هذا النوع من الجناس في رسالة كتبها لصديق له بدمشق ، ورد الجناس المستوفى في قوله: " لو سمعه معبد لعبده أو الغريض لصار عبده". [126]

فالمحسن البديعي هنا بين كلمتي " عبده " الفعل و الثانية " عبده " الاسم .

ج- جناس التركيب

هذا النوع من الجناس يطلق عليه أيضا اسم " الجناس المركب" وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة و الأخر مركب من كملتين نحو قول الشاعر:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَةٍ فَدَعهُ فَدَولَتُهُ ذَاهِبَةٌ [127]

حيث جاء الجناس بين " ذاهبة" المركبة من كلمتين: " ذا" و " هِبةٍ" وبين الكلمة المفردة "ذاهبةٌ " و هو ثلاثة أقسام:

1-**الجناس المتشابه:** وفيه يتشابه الركنان أي كلمة المفردة، والتعبير المركب لفظًا و خطًا نحو قول الشاعر:

يَا سَيْدًا حَازَ رُقَى بِمَا حَبَا فِي و أَوْلَىَ

أَحْسَنْت بِرًا فَقُل لِي أَحْسَنْتُ فِي الشُكْرِ أو لاَ [128]

[125] عبد العزيز عتيق : علم البديع ، ص 200

[126] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته و رسائله ، ص 204

[127] ايميل بديع يعقوب و ميشال عاصي : المعجم المفصل في اللغة والادب ، ص 536.

[128] المصدر نفسه ، ص نفسها .

فالجناس بين " أولى " و هي كلمة مفردة بمعنى: أعطى و بين " أو لا" التعبير المركب من أو العاطفة و لا النافية.

و قد قام الوهراني بتوظيف هذا النوع من الجناس في رقعته على لسان جامع دمشق، وتحديدا في رسالة جواب ابن أبي عصرون على رسالة ملك الجوامع قال:

تَجَنّبْ دِمَشْقَ فَلاَ تَأْتِهَا وَ إِنْ رَاقَكَ الجَامِعُ الجَامِعُ

فُسُوقُ الفُسُوقِ بِهَا قَائِمٌ وَ فَجْرُ الفُجُورِ بِهَا طَالِعٌ [129]

و ما نلاحظه في هذا البيت الشعري أنه تضمن نوعين من الجناس ، الأول هو الجناس المماثل في لفظي " الجامع " الثانية ، فالأولى يقصد بها الوهراني جامع دمشق أي جامع جلق و الثانية بمعنى الملم الذي يلتم إليه الناس للصلاة ، وفي البيت الثاني نجد الجناس المتشابه ، في كلمتي " فسوق " الاولى ، و" الفسوق" الثانية ، فالكلمة الأولى كلمة مركبة من حرف العطف " الفاء " و كلمة " سوق " و الكلمة الثانية كلمة مفردة بمعنى الترك لأمر الله تعالى و العصيان ، و الخروج عن طريق الله و الحق.

أما بالنسبة للنوعين الآخرين من جناس التركيب وهما : الجناس المفروق، و الجناس المرفوق فلم نجد لهما أمثلة في رسائل الوهراني ، أما النوع الأخير من الجناس فهو:

2- الجناس غير التام

" وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام وهي : أنواع الحروف ، وأعدادها ، وهيئتها الحاصلة من الحركات و السكنات و ترتيبها " [130] و هذا الجناس يأتي على ضربين:

[129] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص69.

[130] عبد العزيز عتيق : علم البديع ، ص 205.

أ/ – جناس مضارع

هو " ما كان فيه الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج ، سواء كانا في أول اللفظ نحو قول الحريري : بيني و بين كن ليل دامس و طريق طامس، أو في الوسط نحو قوله تعالى : وهم ينهون عنه وينأون عنه، أو في الأخر نحو النبي صلى الله عليه وسلم : والخيل معقود بنواصيها الخير"

و ورد مثل هذا النوع من الجناس في رقعة الوهراني التي كتبها إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني في قوله: " ولو أنك المعري عراك من ثيابك ، وزهد في ثوابك ، ولا يعطيك المعجون ولا الشراب بالضراب ، ولا المحمودة بالحمد [131] فالجناس المضارع في هذا القول في كلمتي ثيابك و ثوابك ، والشراب والضراب ، وهذا الجناس جاء في الوسط ، حيث اختلف اللفظان ثيابك و ثوابك في حرف واحد ، الحرف "ياء" و الحرف " واو" و موضع الاختلاف متقاربين في المخرج كما ورد هذا النوع من الجناس في رسالته إلى الأمير نجم بن مصال في قوله:" ويخدم ركابه الذي تتشرف بخدمته الأملاك ، ويتمثل أوامره التي تساعد إلى تنفيذها الأفلاك [132] وهناك يتمثل المحسن البديعي الجناس في اللفظتين الأملاك و الأفلاك ، والحرف المختلف هنا هو حرف " الميم" و حرف "الفاء" و كلاهما من نفس المخرج ألا و هو الشفتين و المثال الأخير من هذا الجناس، قمنا باستخراجه من رقعته إلى شمس الدين البعلبكي في قوله: ولا يقر في قارا، ولا يذهب الخمص من الحمص ، ورد الجناس المضارع في هذا المثال بين لفطتي الخمص و الحمص و كان هذا الجناس في بداية الكلمة ، وموضع الاختلاف بين حرفي الخاء و الحاء متقاربين في المخرج ، فهما حرفان حلقيان كما جاء في تقسيم الخليل بن أحمد الفراهيدي للمخارج .

[131] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص74.

[132] المرجع نفسه، ص111.

ب/ - جناس لاحق

هذا النوع من الجناس هو" ما اختلف فيه اللفظان في أنواع الحروف ، و كان الحرفان متباعدين في المخرج" [133] نحو قوله تعالى :" ويل لكل همزة لمزة " سورة الهمزة الآية 1، حيث حيث اختلف اللفظان " همزة "و " لمزة " في حرف واحد و الحرفان الهاء ، واللام ، موضع الاختلاف متباعدان في المخرج .

وقام الوهراني بتوظيف كثير من هذا النوع في رسائله ، تدكر من بينها رقعته على لسان بغلته ريحانة إلى الأمير عز الدين موسك في قوله : " أقل لمن الأمانة في الأنباط و العقل في رأس قاضي سنباط" [134]، يكمن هذا الجناس في لفظتين الأنباط و سنباط إختلاف في حرف الأول الألف و السين وهما متباعدان في المخرج ، فالألف حرف هوائي ، والسين حرف أسلي.

كما ورد العديد من هذا الجناس في رسالته إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، و ذلك في قوله : " أكرم من الركام على الآكام ، وأندى من السحاب على الرحاب ...و مملوكه الأصغر امدح من حسان الملوك غسان ، وأشكر من الأزهار بجداول الأنهار ... لا والله و لكنه من الدعاة في الأمصار ، و من كبار المهاجرين و الأنصار". [135]

هذا القول اشتمل على مثال من النوع السابق ألا وهو " جناس المضارع في لفظتين حسان ، و غسان ، لأن الحرفان " الحاء " و "العين " حرفان حلقيان ،أما باقي الجناس فهو جناس لاحق ورد في الكلمات التالية:

---

[133] ايميل بديع يعقوب و ميشال عاصي : المعجم المفضل في اللغة و الادب ، ص537.

[134] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهرانيو مقاماته و رسائله، ص 91.

[135] المرجع نفسه ، ص 200-201.

مناه وغناه : اختلف اللفظان في حرف واحد و هما " الميم " و "الغين" ، موضع الاختلاف متباعدان في المخرج ، فحرف الميم حرف شفوي ، وحرف العين حرف حلقي.

الزكام و الآكام : اختلف اللفظان في الحرف الأول ، وهو الراء و الألف ، وكلاهما يختلفان في الموضع ، متباعدان في المخرج ، فحرف الراء حرف ، رقي ، وحرف الألف حرف هوائي.

السحاب و الرحاب : اختلف اللفظان في الحرف الأول أيضا في حرف السين و حرف الراء ، وموضع الاختلاف فيهما أنهما متباعدين في المخرج ، فالسين حرف أسلي ، و الراء حرف حرف ذرقي.

الأزهار و الأنهار : اختلفت الكلمتان في الحرف الثاني ألا وهو حرف الزاي و حرف النون ، و اختلافا في الموضع ، فالزايحرف اسلي و النون حرف ذرقي.

الأمصار و الأنصار : هذا المثال الأخير كان الاختلاف أيضا في الحرف الثاني ، بين حرفي الميم و النون ، وهما يختلفان اختلافا كبيرا في موضع المخرج ، فالأول حرف شفوي و النون حرف درقي كانت هذه أهم أنواع الجناس التي استطعنا استخراجها من رسائل الوهراني ، وما نلاحظه أن الجناس كان قليلا في رسائل الوهراني ، وهذا راجع إلى كون الوهراني قد فضل الابتعاد عن التكلف و الصنعة اللفظية ، ولهذا قل من استعماله ، وقد زاد من توضيح المعنى و جعله متجانس فهو يزيد من قوة المعنى بما فيه من حسن الإفادة فيثير الذهن و يفاجئه ، ويؤثر في النفس بما يحمله من جرس موسيقى عذب .

ج- الطباق

الطباق من المحسنات البديعية التي استعملها الأدباء و الشعراء في كتابهم الأدبية ، وقد عرفه علماء البلاغة بقولهم :" هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين على سبيل الحقيقة ،

أو على سبيل المجاز ، ولو إبهاما ، ولا يشترط كون اللفظيين الدالين عليهما من نوع واحد كإسمين أو فعلين ، فالشرط التقابل في المعنيين فقط" [136] و قد ذكره القاضي الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز " بقوله : " الطباق نوع من أنواع البديع ، ولا تنحصر قيمة الأضداء اللغوية في جانب الدلالة الفردة في الكشف عن القدرة اللغوية ، فإنها تتعدى إلى إظهار الأبعاد النفسية المتوترة ، و تصويرها في حالاتها ، فالصور المبنية على الحركة القائمة بين المتناقضات ، هي ذات سعة وعمق داخلي ، وذلك بما تتيحه اللغة من مترادفات و تضاد و تعاكس ".[137]

و الطباق نوعان : طباق الإيجاب إذا اجتمع في الكلام معنى ، وطباق السلب ، إدا اجتمع في الكلام فعلان أحدهما مثبت و الأخر منفي ، أو أحدهما أمر و الأخر نهي.

و قد استخرجنا أمثلة الطباق من رسائل الوهراني ، فمثلا في رقعته على لسان مسجد دمشق وجدنا فيها نوع من الطباق ألا و هو طباق ايجابي ، وذلك في قول الوهراني :" و البائع المغبون لم بِعْتَ الآخرة بالدانية و الباقية بالفانية " [138] ويظهر الطباق الايجابي في لفظتي الباقية و الفانية، كما ورد هذا النوع من الطباق في قول الوهراني " و تخلط فيها الهزل بالجد .... و ما كل بيضاء شحمة و لا كل سوداء فحمة".[139]

كما ورد الطباق بنوعيه الايجابي و السلبي في رسالته إلى مجد الدين بن عبد المطلب ، حيث ورد النوع الأول في قول الوهراني :" ثم إنه دخل الدارة الكبير و الدارة الصغيرة ... فجلس فيه مفكرا و معتبرا لما كان فيه من الأنس ، وصار إليه من الوحشة ... في صدره و لحيته في بطنه مثل بعض الناس في يده اليمنى زربول و في اليسرى شمسك عتيق ...

---

[136] عبد الرحمن حسين حنبكة : البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها ، ج2 ، دار القلم الشامية دمشق ، بيروت ، دط ،دت ، ص 337.

[137] القاضي عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ، دار الفكر ، سوريا ، دمشق ، ط4 ، دت ، ص 108.

[138] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص68.

[139] المصدر نفسه ص 69.

الذين يصومون النهار ، ويقومون الليل ... فما نريد نسأل عنها لاننا نعرف ذلك بالافعال و الأقوال ".[140]

ففي هذا القول أمثلة عن طباق الإيجابي في الألفاظ التالية : الكبيرة ، و الصغيرة ، الأنس و الوحشة،اليمنى و اليسرى، النهار واللي ل ، الأفعال و الأقوال ، كما ورد الطباق بين ألفاظ أخرى مثل: الكبير والصغير ، السيد و الخادم ، ضحك و بنى ، يرد و يأخذ ، يشتري و يبيع ، و كثيرة وقليلة.

أما بالنسبة لطباق السلب فقد ورد بشكل قليل في الفعلين يخاف و لا يخاف ، يقال و لا يقال ، و ما لحظناه على هذه الرسالة أن توظيف الوهراني لطباق قليل جدا مقارنة بالسجع و الجناس و أن أغلبه كان طباقا إيجابيا ، و هذا راجع إلى السهولة اللفظية ، وعدم غموضه ، بما فيه من التزين و التنميق النصي و مع هذا فان الوهراني نوّع بين طباق الايجاب و طباق السلب و هذا الأخير و إن كان قليلا جدا ، إلا أنه زاد من وضوح المعاني ، أما أثره البلاغي الذي أضافه إلى هذه الرسالة هو ربطهُ بين المتباعدين ، فترى الأفكار واضحة ، ويؤدي ذلك إلى انتباه السامع و استجابته.

و من خلال ما تقدم يتبين لنا أن الوهراني في رسائله ، حاول إظهار براعته و مهارته في استخدام علم البديع ، فلكل عنصر من عناصر بلاغته التي تميزه عن الأخر ، فالسمع يكسب الأسلوب و ألفاظه جرسا تطرب له الأسماع و الجناس يضفي نوعا من الخفة و التأثير في المستمع ، أما الطباق فله أثر مزدوج ، ففي الشكل يزيد الأسلوب جمالا و رونقا ، و في المعنى يكشف خبايا الكلمة و يدعمها بعكسها.

[140] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ص 153 – 160.

2- الصور البيانية :

تتدرج الصور البيانية ضمن علم البيان ، هذا الأخير الذي يعد أحد علوم البلاغة ، كعلم المعاني و علم البديع ، والغاية منه تمكن المتأدب من مجاراة البلغاء في طريقة إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة ، و أساليب مختلفة ، و اختيار الأبلغ منها و الأوضح دلالة على المعنى ، و يمكننا حصر موضوعات علم البيان بالعناوين الآتية ، و إيراد لكل موضوع منها أمثلة من رسائل الوهراني.

1 الصور التشبيهية :

عرفه قدامة بن جعفر بقوله :" هو من أشرف كلام العرب ، وفيه تكون الفطنة و البراعة عندهم ، وكلما كان المشبه منهم في تشبيهه ألطف ، كان بالشعر أعرف ، وكلما كان بالمعنى أسبق ، كان بالحذق أليق".[141]

و سنقوم باستخراج بعض أمثلة التشبيه من رسائل الوهراني ، مثلا في "رسالة الطير" ، ورد في قوله : " و إلى اللقالق تنطق و كأنما ألبست ملابس أهل الجنان ، ملابس خضر و إستبرق ، و إلى ما يتحلى من طواويس ، كأنما استعار منها قوس قزح ألوانا دبجتها للشمس بشعاعها".[142]

حيث شبه الوهراني طائر اللقلق و لونه الأبيض الغالب على جسده بملابس أهل الجنة ، كما قام بتشبيه طائر الطاووس الذي يعتبر أجمل الطيور و ذلك لكثرة ريشه و جماله و ألوانه الزاهية المبهرة للعين بألوان قوس قزح التي تزداد ألوانها زخرفا و زينة في أشعة الشمس الساطعة.

[141] قدامة بن جعفر ن نقد النشر ص 58

[142] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائلهن 235.

وهو في هذين المثالين كان التشبيه الموظف تشبيها تاما حيث توفر على جميع أركانه، ففي المثال الأول المشبه هو طائر اللقلق، والمشبه به هم ملابس أهل الجنان، و أداة التشبيه هي الكاف.ووجه الشبه هو لباس الابيض ، وفي المثال الثاني المشبه هو الطاووس و المشبه به هو قوس قزح ، وأداة التشبيه الكاف ، ووجه الشبه بينهما هو الألوان الزاهية.

2 الصور الاستعارية

أورد ابن أبي الأصبع المصري عدة تعريفات للاستعارة لعدة بلاغيين ، حيث عرفها ابن المعتز بقوله : " هي إستعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها ، وحد الزماني للاستعارة بان قال :هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل ".[143]

ومن خلال تعريف ابن المعتز و الزماني فالاستعارة في أبسط معانيها هي أخد شيء من موضعه و نقله إلى موضع آخر ، أي هي حذف أحد طرفي التشبيه و هما المشبه و المشبه به ، وقد وردت الاستعارة في رسائل الوهراني ، و خاصة في رسالته على لسان جامع دمشق في رسالة الجوامع إلى جامع جلق :" لا ترى فيهم أنيسا إلا آذان البوم و تسبيح الغيوم ،وقد ركعت حيطانها ، وسجدت سقوفها و أركانها " [144] ففي هذه الرسالة كانت الجوامع شكاية لجامع جلق عما حدث لها من إهمال و تسيب ، حيث استعان الوهراني بهذا التعبير ليكون كلامه ابلغ و أفصح عن المعنى حيث شبه آذان المسجد بصوت البوم و السبب في ذلك هو لما ألت إليه حال المساجد من دمار وخراب و خلو المساجد من المصلين مما أدى إلى خلو المساجد واتخاذ البوم من منابرها مسكنا لهم ، حيث حذف المشبه به وهو المسجد ، و أبقى قرينة تدل عليه وهي الأذان ، كذلك و ردت الاستعارة في قوله :" ركعت حيطانها و سجدت سقوفها" حيث قام بوصف حيطان المسجد المهترية و سقوفها و شبهها بما يفعله المصلي في

[143] ابن أبي الاصبع المصري : تحرير التعبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ،ص 97.
[144] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني: منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 62.

الصلاة من ركوع و سجود حيث حذف المشبه به وهو المصلي و ترك قرينة تدل عليه وهي الفعل " ركعت " و " سجدت " و كلاهما استعارة مكنية ، كما قام بتوظيف الاستعارة أيضا في رسالته إلى القاضي الفاضل و ذلك في قوله " غاص في بحار الافكار "[145]، وكما ذكرنا في تعريف القاضي الفاضل سابقا أنه كان وزير من أئمة الكتاب بفلسطين ، وقول الوهراني هذا يدل على أن القاضي كان على قمة من العلم و الأدب ، أما بالنسبة للاستعارة فقد شبهه الوهراني بالبحار ، وذلك لكثرة ثقافته و إطلاعه و سعة علومه و آدابه ، حيث صرح بالمشبه به و هو البحر و ترك لازمة تدل عليه وهو الفعل " غاص " و هي استعارة تصريحية.

و بما أن موضوعنا هو " فن الرسالة عند ابن محرز الوهراني " إلا أننا وجدنا الكثير من الاستعارات في مقاماته البغدادية حيث احتوى على كم هائل من هذا النوع من البيان ، حيث وردت في قوله ، " استمطرت راحته " [146] فالراحة شيء معنوي لا يمكن لمسه ، فقد شبهها الوهراني بالمطر، فقام بحذف المشبه وهو المطر، وترك قرينة تدل عليه و هي الفعل " استمطرت " و هي استعارة مكنية و قوله أيضا: " تنوح عليها القصور و المنابر ، وتبكي لها الأقلام و المحابر" [147] و في هذا القول قام الوهراني باستعارة الفعل " تنوح " للقصور و المنابر ، و المقصود بهذا التشبيه أن الوهراني قد شبه القصور و المنابر بالإنسان حين ينوح ويبكي ، حيث حذف المشبه به و أبقى على قرينة تدل عليه و هي كلمة " تنوح " على سبيل الاستعارة المكنية ، كذلك في عبارة " تبكي لها الأقلام و المحابر " فهي على سبيل المثال الذي سبقها استعارة مكنية.

ومن خلال ما تقدم نستخلص أن الاستعارة التي وظفها الوهراني سواء في الرسائل ، أو في المقامة قد أضفت بلاغة واضحة و صريحة عليها ففي رسالة الجوامع الدمشقية أضفى

[145] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني: منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 111.

[146] المصدر نفسه ص10.

[147] المصدر نفسه ، 11.

الوهراني من خلالها بلاغة تكمن في بثه للحياة في الجماد و استنطاقه أو كما يعرف " بالتشخيص " ، وفي رسالته للقاضي الفاضل و المقامة البغدادية فقد كانت البلاغة في تجسيد الأمور المعنوية.

3- الصور الكنائية

و يقصد بها :" اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب لدلالة به على معنى آخر لازم له ، أو مصاحب له ، أو يشار عادة إليه ، لما بينها من الملابسة بوجه من الوجوه" [148] و قد عرفها القزويني في كتابه " وجوه التخليص في علوم البلاغة " بقوله :" الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه ، فظهر أنها تخالف المجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادته لازمه ، و فرق بأن الانتقال فيها من اللازم ، وفيه من اللازوم ، وفيه من الملزوم ، ورد بأن اللازم ما لم يكن ملزوما لم ينتقل منه و حينئذ يكون الانتقال من اللزوم" [149] كما عرفها النويري في كتابه : " نهاية الإرب في فنون الأدب" و بالتالي :" أن يريد المتعلم إثبات معنى من المعاني لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه و يجعله دليلا عليه مثال قولهم طويل النجاد و كثير رماد القدر ، يعنون به أنه طويل القامة ، كثير القدر".[150]

و من خلال ما تقدم من تعاريف للكناية نستنتج أنها لفظ استعمل و أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي.

وحاولنا استخراج العديد من الصور الكنائية من رسائل الوهراني ، نبدأ بأول رسالة ، وهي رسالة كتبها الشيخ الوهراني وهو بمصر إلى الأمير تقي الدين يصف له فيها أحوال المجان بمصر ، و ينصحه بالاستقالة ، و التفرغ للهو ، معرضا بانتصاراته العسكرية ، وهي رسالة

[148] عبد الرحمن حسن حنكة : البلاغة العربية أسسها و علوهما و فنونها ، ص377.

[149] جلال الدين بن محمد بن عبد الرحمن القزوني الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة ، ص 337-338.

[150] شهاب الدين النويري : نهاية الارب في فنون الادب ، ص52.

جوابية ، حيث تعرف على مغنية إسمها " لبنى " و لكنه فيما بعد ندم على سلكه لهذا الطريق و ابتعاده عن العبادة ، حيث وردت الكناية في قول الوهراني :" ينبح ألوانا من النباح ويقول : أنا كلب ابن كلب اصفعوني بالنعال " [151] وتكمن الصورة الكنائية هنا في عبارة " ألوانا من النباح " وهي كناية عن صفة الندم و التحسر .

كما ورد توظيف الكناية في رسالة الوهراني إلى القاضي الفاضل في قوله: " أسرجوا له الكواكب مراكب... و أوقدوا على رأسه نجوم الثريا، و نثروا عليه كوالب النثرة" [152]، هذه الرسالة كان موضوعها المدح و الثناء على القاضي الفاضل ، حيث جاءت عبارات الرسالة كلها مدحا له ، ووصفا لأخلاقه ، و ذكرا لصفاته ، وتكمن الكناية منا في العبارة الأولى " أسرجوا له الكواكب مركب " فالسرج هو جسم دائم للراكب تثبت على ظهر الحصان أو المطي ، و المقصود هنا أنهم جعلوا له الكواكب أحصنة" و في العبارة الثانية " أوقدوا على رأسه نجوم الثريا " و الثريا مجموعة من الكواكب في عنق الثور، فالوهراني يقصد بهذا التعبير أن العمامة التي يرتديها القاضي الفاضل بمثابة نجوم الكواكب ، و أما الكناية في العبارة الأخيرة فتكمن في قوله " نثروا عليه كواكب النثرة " و النثرة هي عبارة عن عنقود من النجوم في السرطان ، والمراد بها أنهم رموا بهذا العنقود من النجوم على القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، وهي كلها كناية عن صفة الاحترام و التقدير له. و قد أضفت الكناية بلاغة على تعبير الوهراني حيث أدت المعنى الكبير في قليل من اللفظ ، فتضفي على الإبداع حسنا وبهاء ، وتزيد الصورة وضوحها و جمالا ، و المقصود من بلاغتها أيضا إبراز الصفات المعنوية كالندم و التحسر ، والتقدير و الاحترام.

[151] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص105.

[152] نفس المرجع ص112

و من خلال ما سلف، نتواصل إلى نتيجة مفادها أن هذه الصور البيانية: التشبيه، الاستعارة.، الكناية، كلها تهدف إلى إثبات المعنى و تقويته، وهي من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس بفنون القول.

المبحث الثاني:الموضوعات المتناولة في الرسائل.

1 – الرسائل الإخوانية :

أولاً : رسائل الشوق :

1 – رسالة شوق إلى مجد الدين بن عبد المطلب وزير تقي الدين.

2 – رسالة شوق إلى شمس الدين البعلبكي

3 – رسالة شوق إلى ابن الشهرزوري

4 – رسالة شوق إلى نجم الدين بن مصال

ثانيًا : رسائل الشكوى :

1 – رسالة إلى القاضي الأثير بن بنان.

2 – رسالة شكوى إلى شمس الدين البعلبكي

3 – رسالة شكوى إلى الأمير عز الدين موسك على لسان بغلته

ثالثًا : رسائل المدح :

1 – رسالة إلى القاضي الفاضل

2 – رسالة إلى الناصر صلاح الدين

3 – رسالة إلى القاضي الأثير بن بنان

رابعًا : رسائل الهجاء :

1 – رسالة إلى قاضي الفاسقين

2 – رسالة إلى عبد الحليم الواعظ

3 – رسالة إلى أبي القاسم الأعور

2 – الرسائل الوصفية :

1 – عشرة أشياء من أبواب الشر.

2 – رسالة في الطير.

المبحث الثاني : الموضوعات المتناولة في الرسائل

في هذا الجزء من الدراسة سنقوم بتحليل رسائل ابن محرز الوهراني ، و اكتشاف موضوعاتها فقد تنوعت موضوعات رسائله ، مع تنوع ظروف الحياة الاجتماعية و السياسية ، فقد كان كثير الترحال إلى كثير من البلدان ، وهذا مما أدى إلى تنوع موضوعات الرسائل ، وكان أكثرها الرسائل الاخوانية ، الملوك ، و أمراء كثر ، حيث كانت فيها رسائل شوق ورسائل مدح ، وقابلتها رسائل شكوى ، وعتاب ، وهجاء.

1 – الرسائل الاخوانية

أولاً: رسائل الشوق

يعد الشوق من الموضوعات التي نالت حظها من تجارب المسترسلين و الكتاب " وتضمن هذا الموضوع عرض المشاعر التي أحس بها الكتاب تجاه أصدقائهم و أحبتهم ، فعبروا عما يكنونه من خلجات قلوبهم ، و لواعج صدورهم ، فتحدثوا عن حلاوة الشوق ، و مرارة الهجر، و الفراق ، و تأسفوا على الأيام الخالية، و المجالس الأنيسة ، و تمنوا عودتها بفارغ الصبر "[1] فالشوق حالة تأسر نفس الكتاب و أحاسيسه ، وتثير لهفته إلى من يجب تنزع إلى ذلك الشخص ، محاولة التعبير عن هذه الأحاسيس الجياشة في قالب فني أدبي ، فهو مزيج بين نار البعد ، وأمل التلاقي ، و قال صاحب مواد البيان في هذا الغرض :" و ينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره ، و يظهر فيها صناعته ، و يأخ ذ في نظمها مأخذ من اللطافة و الرقة يدل على تمازج الأرواح و أتلاف القلوب ، وما يجري هذا المجرى ، و أن يستخدم لها أعذب لفظ و أعذب معنى ، ويذهب فيها مذهب الإيجار و الاختصار ، ويعدل عن سبل الإطناب و الإكثار ، لئلا يستغرق جزءا كبيرا من الكتاب ، فيمل ، و يضجر ، و ينتظم في سلك

[1] خالد الحلبوني : الرسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي ، مجلة جامعة دمشق كلية الاداب و العلوم الانسانية ، جامعة سوريا ، دمشق ، العدد الول و الثاني ، 2009م ، ص 63

الملق و التكلف اللذين لا يعتمدهما المتصافون من الأصدقاء " [2] فحالة الشوق من أصعب المشاعر التي تسبب الألم و الحزن لقلوبنا ، هي اشتياقنا لأشخاص لهم مكانة مميزة في نفوسنا ، و معبرة ، و دالة على ما يكنه الكاتب اتجاه المرسل إليه ، و لابد أن تكون رسائل الشوق ، رسائل موجزة ، و معبرة ، و دالة على ما يكنه الكاتب ، تجاه المرسل إليه، و أن تكون ألفاظها مركزة و ذات إحاء كبير لمعانٍ كثيرة و أن يحسن الكاتب انتقاء ألفاظها واختياره لها ، ليعتني بالمعاني التي تحملها.

و قد أورد الوهراني في كتابه " منامات الوهراني و مقاماته و رسائله " عدة رسائل كان موضوعها الشوق ، نبدأ برسالته إلى:

1 – مجد الدين بن عبد المطلب وزير تقي الدين

هو " مجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطلب " [3] ورد ذكره في حوادث سنة 512هـ في كتاب " الكامل في التاريخ" لابن الأثير الجزري ، " عزل الخليفة وزيره مجد الدين هبة الله بن المطلب برسالة من السلطان ، ثم أعيد إلى الوزارة بإذن السلطان محمد ، وشرط عليه شروطا منها العدل و حسن السيرة ، و أن لا يستعمل أحدا من أهل الذمة".[4]

قال عنه الصفدي " كان قيما بالنحو و اللغة ، كاتبا بليغا حسن الخط ، بارعا في الأدب سمع من محمد بن عمر بن يوسف الارموي ، و السلفي ، وغيرهما " [5] شديدة و عنده من الشوق و الحنين مثل ما عند أهل الفيوم إلى المولى تقي الدين ".[6]

---

[2] أبو العباس أحمد القلقشدي : صبيح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج9 ، ص142.

[3] ابن الاثير الجزري : الكامل في التارخ ، تحقيق : محمد يوسف الدقائق ، المجلد 9 ، دار الكتب العالمية ، لبنان بيروت ، ط1، 2003، ص 173.

[4] شهاب الدين الموري : نهاية الإرب في فنون الأدب : الجزء 23 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط1، 2004م ، ص 149.

[5] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : بغية الرعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق ، مصطفى عبد القادر عطا ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، لبان ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 215.

[6] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 152.

و ما نلاحظه في هذه الرسالة أن ابن محرز الوهراني اعتبر نفسه عبدا لمولاه مجد الدين ، وفي نفس الوقت قام بتعظيمه و تبجيله ، وذلك من خلال إعطائه العديد من الألقاب التي تدل على أن هذا المولى كان يحتل مكانة رفيعة في نفس و قلب الوهراني و هي ، مولاي ، الوزير ، الأجل ، السيد ، الفاصل ، الأوحد ، شرف الإسلام ، شمس الخلافة ، بهاء الملة ، أوحد الرؤساء ، سيد العراقيين أطال الله بقاءه و أدام علاه و كبت حسدته و أعداه كتب هذه الأحرف على عجلة شديدة و عنده من الشوق و الحنين مثل ما عند أهل الفيوم إلى المولى تقي الدين.

و توظيف الوهراني لهذه الصفات كلها ، لم يكن بمحض الصدفة ، أو المجاملة ، فقد أسمعه كلاما جميلا فيه كثير من الاحترام ، و هذا من أجل التقرب منه ، لان الألفاظ العذبة تشير النفس البشرية ، و تحملها أكثر استقبالا لما يقال ، و تمهيدا لوصف شوقه له ، و أنه يحمل في قلبه مشاعر صادقة له.

و عند تعمقنا في دراسة عرض الرسالة اكتشفنا أن موضوعها ليس الشوق فقط ، بل تعداها إلى المدح ، ففي المدح و حسن الثناء قوله: " فشاهد من محبة أهل البلد للمولى الصاحب المخدوم ما يتجاوز الحد و الصفة فلو أن أمراء عبد من دون الله تعالى لعبدوه ، و لما قرب الخادم من مدينة الفيوم ، وأبصر الموكب الذي طلع فيه لا يسير إلا في ظل النخيل و بين أغصان الأشجار و الكروم " [7] ، ثم اتبع هذا التعبير بالمدح للمولى مجد الدين ، صياغة ذات نبرة و دلالة معبرة عن حالت النفسية المشتاقة له فقال : " عاشت روحه باستنشاق ذلك النسيم ثم إنه دخل الدار الكبيرة و الدار الصغيرة و تفرح على علو الهمة و حسن الترتيب ثم إنه يمشي وحده في الحمام الصغير الذي في الزاوية الدار فاستطاب الموضع لخلوه و شدة برده في قائلة نصف النهار فجلس فيه معتبرا بما كان فيه من الأنس و م ا صار إليه من

[7] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 152.

الوحشة ، فخنقته العبرة شوقا إلى صاحب المكان " [8] فهو بشوقه هذا عبر عن عواطف إنسانية صادقة ، ولم تخلو هذه الرسالة من أسلوب السخرية و التهكم الذي تميز به الوهراني في قوله :" خرج منه شخص عجيب الصورة ، ليس له رأس و لا رقبة البتة ، و إنما وجهه في صدره ولحيته في بطنه مثل بعض الناس في يده اليمنى زربول و في يده اليسرى شمشك عتيق ، فقمت إليه هيبة له خوفا على نفسي منه : وقلت له من أنت يرحمك الله ؟ فقال : أنا أبو خطرش " [9] و تكمن السخرية هنا في وصفه للقاضي الفاضل بألفاظ تثير الاستخفاف به في قوله وجهه في صدره و لحيته في بطنه مثل بعض الناس ، و هذه الأخيرة " مثل بعض الناس " عبارة كثيرا ما تشير إلى أشخاص معينين ، لكن لا يريد ذكرهم ، خوفا منهم ، أو استهزاءا بهم ، كذلك توظيفه لشخصية " أبو خطرش "وهي شخصية خرافية ، يقصد بها السخرية من القاضي الفاضل ، هكذا ورد تعريفها في كتاب الوهراني ، لكننا لم نجد لها تعريفا في ما لجأنا إليه من كتب.

و قد أجبر أبو خطرش على قول الشعر ، على الرغم من أن الوهراني أخبره أنه لا يجيد نظم الشعر ، فقال أبياتا مدح فيها مولاه مجد الدين بن عبد المطلب فقال:

فَقَالَ : وبِسَيدٍ مِنْ أَلِ شَاذِي أَرْوعُ

فَقُلتُ : مِثْلُ الحُسَامِ الصَارِمِ المَثْلُومِ

فَقَالَ : بِنَواعِبِ الغِربَانِ تَنْعَقُ دَائِمًا

فَقُلتُ : وَحَمَائِمَ تَبْكِي لِفَقْدِ حَمِيمِ

فَقَالَ : بَكَتِ السمَاءُ لِبُعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِهِم

فَقُلتُ : بِسَحَائِبٍ مُنْهَلّة و غُيُومِ.[10]

[8] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 153.

[9] المصدر نفسه ص153-154.

[10] المصدر نفسه ص 154 - 155

لقد كان توظيف الوهراني لهذه الأبيات الشعرية في محلّه ، حيث عبّر بها عن حالته النفسية التي امتلأت بالحزن الشديد لشدة بعده عن مولاه ، و أن هذا الحزن لم يكن مقتصرًا عليه فقط بل امتد إلى طير الحمام الذي بكى لغياب المولى مجد الدين ، و سماء أذرفت سحابها دموعًا لغيابه.

و بعد المدح عاد الوهراني في أخر رسالته إلى موضوع الشوق الذي كان أساسًا و قاعدة لها في قوله : " لولا العجلة لكتبت إليه من العجائب و الغرائب ما يرقصه طربًا...المملوك يقبل يدي المولى و رجله، ويسأل الباري جل و علا أن يجمع الشمل به في ديار مصر عن قريب".[11]

و قد ذكر الوهراني في بداية رسالته أنه كتبها على تسّرع و اندفاعٍ و عجلةٍ لشدة اشتياقه له و هو يتمنى أن يلتقي به في أسرع وقت ممكن بإذن الله عز وجل.

2 – رسالة إلى شمس الدين البعلبكي

كتب الوهراني رسالة إلى شمس الدين البعلبكي و هو " محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد الإمام المفتي البارع شمس الدين أبي عبد الله بن الشيخ المفتي الزاهد فخر الدين البعلبكي الحنبلي"[12] و هو أحد الموصوفين بالذكاء المفرط و حسن المناظرة ، و التقدم في الفقه و أصوله ، و العربية و الحديث و غير ذلك".[13]

قام الوهراني ببدأ هذه الرسالة ببيت شعري تكرّر في أكثر من رسالة و هو :

[11] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 153.

[12] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، الجزء 3 ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان، بيروت ، ط 1 ، 2000 م ، ص 196.

[13] شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط ، المجلد 7 ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط 1 ،1991 م ، ص 788.

أَأَلْهُو بَعْدَكُم وتقرُّ عيني عليّ اللهو بعدكم حرامُ [14]

و هنا يتبادرُ إلى ذهننا سؤال مهم ، لماذا اختار الوهراني هذا البيت الشعري بالتحديد ليفتتح به أكثر من مُكاتبة؟

ربما يكون السبب في اختياره له بالتحديد أنه يحمل أسمى معاني الشوق و الحنين ، وفي تكراره له يكون تأكيدًا لمشاعره و أحاسيسه ، وقد يكون ضياع مأثوراته الأدبية من خلال رحلاته لعدة بلدان ، إلى ضياع بعض أثاره ، وبتر بعض أشعاره ، ونسبتها إلى شخصيات أخرى كما ذكرنا سابقًا في رسالة الطير التي نسبت لغير الوهراني.

ولكن مع هذا لم تخلوا هذه الرسالة من عبارات اللهفة و الشوق إلى شمس الدين بن البعلبكي

" كتب عبد مولاي شمس الدين و سيد المرسلين في هذه السنين أطال الله بقاءه في عز دائم وجاه قائم و دهر نائم...و عنده من الحنين ما يشيب الجنين ، ومن الارتياح ، ما يسكن الرياح ، و من الصبابة ما ينشف الصُبابة ، حتى إنّه لو ركب على جمل أشواقه و صبر حثيث سوقه ، و أنواقه و خرج من باب النصر" [15] حيث دعا الوهراني في هذه الرسالة لله سبحانه و تعالى باستمرار العز و المنزلة و القدر العالي في تعبيره للحنين و الشوق ، كما دعا الله عز وجل أن يجمع شمله به في أقرب زمن في قوله " فنسأل الله اليساري جلت قدرته أن يجمع الشمل به عن قريب إنه سميع مجيب"[16] و هي من سمات رسائل الشوق أن يدعو الكاتب بولع و لهفة و حنين إلى لقاء المرسل إليه ، وحتى إن كانوا من طبقات مختلفة ، كما وظف الوهراني كثيرا من العبارات البليغة في الإفصاح عن الشوق لشمس الدين بن البعلبكي نذكر منها قوله : " وصالح الأدعية في الأوعية ، حمل من ذلك قافلة حافل ، يكون أوّلها

[14] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله ، ص 161.
[15] المصدر نفسه ، ص 161.
[16] المصدر نفسه ، ص 165.

في باب الجابية ، وأخرها في رأس الطابية ألفاظها كنفثات السحر ، ومعانيها كعنبر الشّحر ، تتضرع برائحتها الشام و يتطيب لها الأراك و البشام".[17]

حيث قام الوهراني بهذا التعبير بوصف أدعيته لمولاه شمس الدين المتلهفة للوصول إليه ، حيث وصف ألفاظها بالسحر ، و المعاني التي تحملها بين حروفها بالعنبر ، ويتعطّر بها شجر الأراك و شجر الشامة طيب الرائحة.

3 – رسالته إلى البدر صاحب ضياء الدين ابن الشهرزوري

هو القاضي ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن يحي بن عبد الله بن القاسم الشهروزي ، ولد سنة 534 هـ (1139 م – 1140 م) في دمشق ، تفقه ضياء الدين الشهروزي على يوسف الدمشقي في المدرسة النظامية في بغداد ، و سمع الحديث ثم عاد إلى دمشق و لمّا توفي عمّه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم ، سنة 572 هـ (1176 – 1117 م) ، خلفه هو في منصبه قاضي القضاة ، ولكنه استقال وشيكًا فولاه صلاح الدين الأيوبي السفارة بينه (بين صلاح الدين) و بين الخليفة في بغداد ، ثم بقي في هذا المنصب مدة يسيرة بعد صلاح الدين ، و في سنة 575 هـ عُين ضياء الدين الشهروزي قاضي القضاة في بغداد فلم يطب له ذلك فاستأذن الخليفة الناصر لدين الله في العودة إلى الشام فأذن له ، فتوجه الشهروزي إلى الموصل ثم انتقل إلى حماة و تولى فيها القضاء حينًا و كانت وفاته في حماة ، في رجب من سنة 599 هـ (1203م) فحُمل إلى دمشق فدفن فيها".[18]

بدأ الوهراني رسالته إلى البدر صاحب ضياء الدين ، ببيت شعر تكرر من قبل هو :

[17] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله ، ص 164.

[18] عمر فرّوح : تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ، الجزء 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1979 م ، ص 422 – 423.

أَأَلْهُو بَعْدَكُم وتقرُّ عيني عليّ اللهو بعدكم حرام[19]

و عادة يكون ابتداء الرسالة بالشعر أبلغ من النثر ، لأنه من أكثر الفنون هيمنة على التاريخ الأدبي عند العرب لسهولة حفظه و تداوله ، كما قال ابن قتيبة : " الشعر معدن عِلم العرب".[20]

وبعد قول الوهراني لهذا البيت الشعري ، أخذ يسرد شوقه إليه في قوله : " و عنده من الأشواق ما يعجز عن وصفه ذوات الأطواق ، ومن لوعة البين ما يذهل حمائم النيربين ، ومن شدة الحنين ما يشيب رأس الجنين ، فلا و الله ما رجل من أرباب الصدور ، و أبناء السادة و البدور ، أبو علم الأعلام ، وقومه مصابيح الإسلام ، فطم على الدفاتر و المنابر ، و نشأ بين السروج و المنابر ، فضله في العلم باهر ، و لسانه في الجدل قاهر ، وهو في خدمة الملوك ماهر ، عزيمته في ذلك ميمونة و بوائقه في المغيب مأمونة و طلعته سعيدة ، وهمته في المعالي بعيدة".[21]

اعتمد الوهراني على الفن الشعر كبداية أو تمهيد صغير للدخول في وصف حالة الشوق و الحنين ، فأخذ بتعبيره هذا يصف حالته النفسية الصادقة اتجاه المرسل إليه ، وأن ما يحس به من مشاعر و أحاسيس يعجز عن وصفها أي شيء ، و هذا ما يدل على شدة احترامه له ، و المرتبة التي يحتلها البدر صاحب ضياء الدين ، ولم يخلوا تعبيره هذا من المدح ، فقد تخلل تعبيره عن شوقه بعض المدح لهذه الشخصية ، حيث مدح الوهراني والده و قومه ، كما مدح تعليمه و عِلمهُ و نشأته و خدمته للملوك و عزيمته و همته العالية ، وعادة ما

[19] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 182.

[20] عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال : نقد الشعر بين ابن قتيبة و ابن طباطب العلوي ، مطبعة دار القران ، د ط ، د ت ، ص 122.

[21] المرجع السابق ، ص 182-183

يكون كتّاب الرسائل كثيري المدح للملوك و الأمراء و القضاة في رسائل الشوق ، وذلك لتكون الرسالة أكثر بلاغة وقُربا لقلب السامع.

و في هذه الرسالة ما يدل على رغبة الوهراني في التقرّب منه ، وذلك في وصف نفسه في بداية الرسالة بالعبد ، و هذه سمة و خاصية من خصائص كتابة الرسائل في القرن الرابع الهجري ، أن يصف الكاتب نفسه بالعبد في الرسائل المبعوثة للملوك ن و التي يكون موضوع الشوق أساسًا لها ، ومن ذلك ما قاله البسطامي المتوفي سنة 332 هـ : " وبعد ، فالعبد ينهي من لواحق شوقه ، و لوافح توقه ، إلى شهود ذاتكم الجميلة ، و مشاهدة صفاتكم الجليلة".[22]

فهو يصف نفسه بالعبد لأنه يبعث برسالة إلى شخصية أكثر منه مرتبة لهذا تكون صفة العبد كوسيلة لإظهار التقرب منهم ، وكثيرًا أيضًا ما يعتمد كتّاب الرسائل على السجع كأسلوب بلاغي للتأثير في نفس السامعين ، فالبسطامي بهذه الرسالة يشترك مع الوهراني في إبيان شوقه و حنينه من أجل التكسب و التقرب من الملوك ، ومع هذا فإن ما لاحظناه في تعبير الوهراني ، وتعبير البسطامي يدل على صدق المشاعر ، وصفاء الأحاسيس ، وهذا ما يجعل الرسالة أكثر بلاغة و تأثيرا و هي كسابقتها لم تقتصر على موضوع واحد و هو الشوق بل تعدتها إلى شكوى الوهراني من حالته ، وغُربته و ابتعاده عن بلده و عائلته ، و عادة ما يشير التعبير بالشكوى عن التألم من جفوة الحبيب و بعده عن المحب أو من قسوة الدهر و هذه الأخيرة هي ما أدت بالوهراني إلى التعبير عن شكواه بقوله: " فحسده الدهر عن سعادته ، وأجراه في التفرّق على عادته ، فأخرجه من الطارف و التلاّد و باعده عن الأهل و الأولاد ، وأنزل أحوج ما يكون اليوم عن البلاد ، بحيث لا يوجد خبز للشراء ، ولا يقدر على بيت للكراء".[23]

[22] أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، ج 1 ، ص 48.

[23] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 183.

فهو يشكو حالته الاجتماعية التي يعيشها الوهراني في ذلك الوقت بابتعاده عن عائلته و فلذة كبده ، وقساوة المعيشة ، فهذا الوضع الذي يعيشه أثار في فؤاده الحنين إلى بلاده و أهله و أولاده في قوله :

أَحِنُ إِلىَ أَهْلِ و أَهْوَى لِقَائَهُم وَ أَيْنَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرَبِ

فهو بهذا البيت يصف حنينه لرؤية أهله ، ولكن رؤيتهم بعيدة عن مُراده ، وذلك باستعانته بمثل شعب وهو قوله " عَنْقَاءُ مُغْرَبِ " و أصل هذا المثل هو " حلّقت به عنقاء مُغرب " [24] و هو مثل يُضرب للشيء المستحيل و بعيد المنال ، فالعنقاء طائر عظيم ، وهمي ، خُرافي لا وجود له إلاّ في تصور الإنسان وقد زعم قدماء مصر أنه يعمّر خمسة قرون ، وبعد أن يُحرق نفسه ، ينبعث من رماده من جديد.

كما تحدث الوهراني في هذه الرسالة عن أحوال مصر في قوله : " قد شرع يخبركم بأخبار ديار مصر جميعها وهو شيء يسأل عنه ولا احتيج إليه فيه لكن الفضولي يتلذذ بذكر الفضول مثل ما يتلذذ المصافع بالصفاع ، وأيضًا أنّه يعلم أنّ أكثر هذيانه و تحنيطه ينطلي على المولى المخدوم".[25]

كما ذكر الوهراني أحداثًا جرت في مصر و هي :

1 – احتراق نهر النيل.

2 – ملوك الحبشة قاموا بصرف نهر النيل عن مجاري ديار مصر إلى ناحية بلاد الزنج.

3 – السلطان سيف الدين أخو صلاح الدين الأيوبي المتوفي سنة 593 هـ ، والغارات التي قام بها في شهر جمادى الأخرة.

[24] ابو الفظل احمد بن محمد النيصابوري : مجمع الامثال ، ج1 ، نشره المعاوية الثقافية للاستانة الرضوية المقدسة ، دط ، 1344هـ ، ص 210.

[25] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 186.

4 – انتصار أسطول المنصور و غنيمته.

5 – مرض سيف الدولة و اقتراب موته.

6 – المولى سيف الاسلام و لعلّه يريدُ به " طغتكين بن أيوب بن شادى ، صاحب اليمن ، المُلقب بالملك العزيز ، الذي كان شجاعًا أديبا عاقلاً ، بعثه أخوه الناصر صلاح الدين إلى اليمن ، فدخل مكة سنة 579 هـ ، و دخل زبيدًا ، فتعز ، وملك اليمن كلّه ، طوعًا و كرهًا ، وكان فقيهًا ، له مقروئات و مسموعات ، واختط في اليمن مدينة سماها المنصورة".[26]

7 – القاضي صدر الدين قام بتزويج ابنته في رأس جمادى الآخرة لابن زين النجار " و هو أبو العباس بن المظفر بن الحسين الدمشقي أحد علماء الشافعية الملقب بابن زين النجار"[27]

8 – تولى القاضي صدر الدين الأحباس في أوّل ذي الحجة سنة 574 هـ.

9 – الفقيه زين الدين قام بتزويج ابنه عبد الكريم بجارية الأمير نجم الدين بن مصال.

10 – المولى نظام الدين و مرض زوجته الذي لا شفاء له.

11 – مرض الأمير رجاء.

12 – ولاية الأمير عز الدين موسك الشرقية ، ثم استعفى منها.

و بعد هذه الأخبار بدأ الوهراني يسرد ما حدث معه هو ، حيث زوّج ابنته بشاب من أبناء مصر و قد ذكرنا هذا سابقًا.

و ما قام الوهراني بذكره من أخبار يعدُّ حوادث تاريخية ، شهد حدوثها في مصر التي كانت إحدى وجهاته و مجمل الوقائع التي جرت فيها.

---

[26] خير الدين الزركلي : الأعلام ، الجزء الثالث ، ص 227.

[27] جمال الدين أبي المحاسن بن تغري يروي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، الجزء 6 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بروت ، ط 1 ، 1992 م ، ص 51.

4 - رسالة إلى نجم الدين بن مصال

كتب الوهراني رقعته هذه إلى الأمير نجم الدين بن مصال و هو " نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال اللكي المغربي ، وكان ابن مصال من أهل لُكَّ بضم اللام و تشديد الكاف ، وهي بُليدة عند بُرقة وكان هو و أبوه يتعاطيان البزرة و البيطرة ، وبذلك تقدّما". [28] وكان ابن مصال من أكابر أمراء الدولة : " حيث كان والي الاسكندرية حين حاصر الافرنج فيها صلاح الدين سنة 562 هـ ".[29] وبعد أن توفي الحافظ خليفة مصر يوم الأحد الخامس من جمادى الأخرة".[30] تولىّ نجم الدين بن سليم تدبير أمور المملكة.

و كان الأمير نجم الدين معاصرًا لصلاح الدين الأيوبي في حصار الكرك و الشوبك ، ولابد أن يكون الوهراني قد عاصره أيضًا ، من خلال هذه الرسالة التي بدأها الوهراني ببيت شعري قائلاً فيه :

أَأَلْهُو بَعْدَكُم وتقرُّ عيني عليّ اللّهو بَعْدَكُم حَرامٌ[31]

فهذا البيت سطره الوهراني لتحمل كلماته شوقه إلى أميره نجم الدين ، فهو يحرّم على نفسه العيش و الهناء و الاستمتاع بالحياة و ملذاتها ، فقد حمل هذا البيت بين حروفه معاني سامية لمشاعر الوهراني.

ثم اتبع الوهراني هذا البيت الشعري بقوله : " سطر هذه الخدمة عبدُ مولاي الأمير المفضل الأمين نجم الدين أطال الله بقائه ، وكتب أعداءه ، و عنده من الأشواق إلى حضرته و

---

[28] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، ج 3 ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 416 - 417

[29] حسين عاصي : العماد الأصفهاني حياته و عصره ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 20.

[30] أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداوي : كنز الدرر و جامع الغُرز ، تحقيق : إدوارد بدين ، محمد سعيد جمال الدين ، جون هيلد جراف ، أريكا جلاسن ، دوروتياكرافولسكي ، صلاح الدين المنجد ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، أولدخ هارمان ، هانس روبرت رويمر ، ج 6 ، الناشر عيسى البابلي الحلبي ، د ط ، د ت ، 1982 م ، ص 552

[31] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 206.

الحنين إليها ، ما لو قسم بعضه على حصني الكرك و الشوبك لصاحوا نجم الدين يا منصور".[32]

و هنا اعتبر الوهراني نفسه عبدًا لهذا المولى ، مثلما جاء في الرسالة السابقة ، و هذا ليبرهن له شدّة إحترامه له ، وطمعه في التقرب منه و له.

و على الرغم من أنّ هذه الرسالة جاءت في أربعة أسطر فقط ، إلاّ أنها عبرت عن مكنونات الوهراني اتجاه نجم الدين ، وربما يكون السبب في ذلك أن القائد بن مصال كان في حالة حرب ، و خوف الوهراني من أن لا تصل الرسالة إليه لهذا كتبها في هذه الأسطر القليلة ، وربما يعود السبب كذلك في أن المحققان لم يجدا الرسالة كلها ، لأن كثيرا من أثار الوهراني ضاعت في مجاهل التاريخ لأسباب سياسية و اجتماعية كما قُلنا سالفًا.

فالوهراني قام بالدعاء لنصرة القائد نجم الدين و صلاح الدين الأيوبي ، و التضرع لله سبحانه و تعالى لنصرته كما قام بذكره لشوقه و اشتياقه.

و عادة ما يقوم كاتب الرسالة بوصف نفسه بالعبد للتقرب من المرسل إليه ، كما قال في رسالة أخرى لابن مصال : " كتب هذه الأحرف عبدُ مولاي المفضل الأمير نجم الدين عَلَمَ المسلمين أطال الله بقائه ، و جعله من كل سوء فداه ، وفي مرابط صدره من خيول الشوق جواده و ركبه صحوة من باب النصر لقاتل معه الحلبين قبل العصر".[33]

و تكون هذه السمة في وصف الكاتب نفسه بالعبد في الرسائل المبعوثة للشخصيات السياسية التي تكون أعلى مكانة من مرتبة كاتب الرسالة ، ثم دعا الله تعالى بطول العمر للأمير ، و حمايته من كل شر ، كما أظهر رغبته في التقرب منه في قوله:"عنده من المحبة لسلطانه ما يسلبه عن أوطانه ، ومن العزم لأميره ما يمليه عن سميره ، وأن خدمته أحب

[32] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 206.
[33] المصدر نفسه ، ص 75.

إليه من الخدم السنية ، ومُلازمته أشهى لقلبه من العيشة الهنية ، ولا شك أن أسعد الناس رجل يتصبح بوجه الملك الناصر ، ويقبل يديه التي هي كالعناصر ، ويخدم ركابه الذي تتشرف بخدمته الأملاك ، ويتمثل أوامره التي تساعد إلى تنفيذها الأفلاك ، فيسأل الباري جلت قدرته أن يمتعه بأطول الأعمار".[34]

وضّح الوهراني في هذا المقطع من الرسالة مودته و محبته التي يُكنّها له ، هي ما تجعله بعيدًا عن وطنه و أهله ، وبأن ولوعه بالأمير نجم الدين و مصاحبته له أفضل لفؤاده من الحياة الرغدة ، و اعتبر أن الإنسان الأكثر حظًّا هو الرجل الذي يفتح عينيه بوجه الأمير الذي لقبه بالملك الناصر.

كانت هذه أهم رسائل الشوق للوهراني ، وما استنتجتاه منها هو أنه عبر فيها عن أصدق مشاعره و أسماها للمرسلين إليهم ، كانت عبارات بليغة و فصيحة تنبع من صميم الوهراني ولم يكتف فيها بالتعبير عن شوقه فقط ، بل تعدّاها أيضا إلى غرض المدح ، وذلك لتكون رسائله أبلغ تعبيرًا عن المعنى المطلوب ، ولإظهار أفضل ما عنده من أسس البلاغة اللفظية وخاصة أنه استخدم محسنا بديعيا أضفى على هذه الرسائل نغمة موسيقية لطيفة تشد السامع و المتلقي إلى سماع الرسالة من أولها لأخرها دون كلل أو ملل ، ولم يكتفي الوهراني بالتعبير عن شوقه بالنثر فقط ، بل تعداه أيضًا إلى توظيف جنس الشعر لسهولة حفظه ونظمه وانتشاره.

[34] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 77-78.

ثانيًا : رسائل الشكوى

هذا النوع من الرسائل يلجأ إليها كاتبوها للتخفيف عن أنفسهم ، وما يعانون منه من مصاعب الحياة ، وما حل عليهم من نوائب الدهر ، حيث تحمل كلماتها آهاتهم ، ومعاناتهم من شدة الحزن و الألم.

وتنوعت موضوعات رسائل الشكوى ، حيث كان الأدباء يشكون من غدر الزمن ، و تقلب أحواله عليهم ، كما شكوا من الناس ، وتغير أخلاقهم ، وفساد أعمالهم ، ومن الشواهد المتميزة في هذا الصدد ما كتبه الجاحظ يصور أحواله ، ويشكو لأحد أصدقائه حالته النفسية المُزرية و ما عاناه من ضغوطات الحياة : فقال : " كتبتُ إليك و حالي حال من كثُفت غُموده ، وأشكلت عليه أموره ، واشتبه عليه حال دهره ، ومخرج أمره ، وقلّ عنده من يثق بوفائه ، أو يحمد مغبة إخائه ، لاستحالة زماننا ، وفساد أيّامنا". [35] فهو هنا يشكو فساد الزمن و فساد أحوال أهله.

ولم تخلو رسائل الوهراني من رسائل الشكوى ، فقد تضمن كتابه ثلاث رسائل شكوى : رسالته الى القاضي الأثير بن بنان ، ورسالته إلى شمس الدين البعلبكي ، ورسالته الأخيرة إلى الأمير عز الدين موسك ، ومن خلال اطلاعنا على رسائل الشكوى بصفة عامة وجدنا أنها رسائل تكون غالبا إلى الأهل و الأقارب ، ولكن رسائل الوهراني هذه كانت للأمراء و القضاة ، فهو كان بعيدًا عن أهله و عائلته ، فقد شكى حاله و أحواله لهؤلاء.

1 – رسالة إلى القاضي الأثير بن بنان :

كتب هذه الرسالة إلى " ابن بنان المولى الفاضل الأثير ذو الرياستين أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي الطاهر محمد بن بنان الأنباري الأصل ، المصري الكاتب ، وُلِدَ القاضي

[35] أحمد زكي صفوت : جمهرة رسائل العرب ، الجزء 4 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، 1937 م ، ص 49.

الأجل أبي الفضل بالقاهرة سنة سبع و خمس مائة". [36] و قد أسهم في نشاط اللغة والأدب بمصر ، قرأ الأدب و سمع الحديث ، و كان شيخًا جليلاً مهيبا ، عاملاً أديبًا ، كاملاً بليغًا ، يكتب الخط الحسن ، ويقول الشعر الجيد ، ويترسّل". [37] و خدم بعدة مناصب في دولة صلاح الدين بمصر و تُوفي " في ربيع الأخر سنة ست و تسعين و خمسمائة".[38]

و قد وردت هذه الرسالة في كتاب "منامات الوهراني وحكاياته" لمنذر الحايك تحت عنوان " لقاء ابليس " ، و في هذه الرُقعة لم يقم بالشكوى و العتاب المباشر للقاضي الأثير ، بل قام بتوظيف شخصية أخرى ، وهي شخصية "ابليس" التي كان لها دور كبير في كثير من المؤلفات العالمية مثل رواية الشياطين لدوستويفسكي.

الذي شكى له الوهراني ما وقع له ، حيث قام بمزج هذه الكوى بالهجاء ، وبما أننا تناولنا حكاية الوهراني و طريقة تعرّفه على ابليس ، فسندخل مباشرة في العبارات الدالة على الشكوى ، قال فيها : " فلما وقعتُ له في هذه الأيام استهلك مالي ، و ضيّع حلالي ، و ذبحني من الوريد إلى الوريد ولم يُراقب في إلاً ولا ذمة". [39] وسأل إبليس الوهراني إذا كان الأثير بن بنان قد فعل هذا الشيء به وحده أم بغيره أيَضًا ، فأجابه الوهراني أنّه اقترف هذا الظلم و الجبروت بغيره من الناس.

ثم جاءت شكواه و عتابه للقاضي الأثير على لسان إبليس : " فديته هكذا وصيته يا وهراني يا وهراني ستين سنة لي أتعب عليه إلى أن جاء هكذا ، شر كله ليس فيه من الخير وزن

---

[36] أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار الذهبي ، سيرة أعلام النبلاء ، تحقيق : حسان بن المنان ، الجزء 1 ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، د ط ، 2004م ، ص 3682.

[37] محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق : علي محمد معوّض ، عادل أحمد عبد الوجود ، ج 2 ،دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ت ، ص 262.

[38] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج 1 ،دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي و شركاه ، ط 1 ، 1967 م ، ص 375.

[39] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقامات و رسائله، ص 87.

مثقال ذرة ، وهو في أعراض بني أدم مثل الطاعون في الأجسام ، أشهد أنّه من خاصتي و قرة عيني".[40]

و هذه الرسالة تحمل في طياتها كثير من عتاب الوهراني للقاضي الأثير في أمر ساءه منه ، وما يُحسّ به من حسرة و أسى لهذا الظلم و الجور ، ثم استعان الوهراني في نهاية رسالته بالشعر كخاتمة لها ، وكتعبير عن عتابه و شكواه فقال :

يَا أَيُّهَا القَاضِي الأَثِيرُ نِدَاءُ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ أَحَدًا سِوَاكَ خَلِيلًا

أَيَجُوزَ فِي دِينِ الرِئَاسَةِ أَنْ أَرَى مِنْ جُورِ حُلْمِكَ فِي ذِارَك قَتِيلًا

أُودِي عَلِيل و هُو شَيْخُ ضَلَالِةٍ بِالنَّحْسِ إِحْسَانِي فَظْلتُ عَلِيلاً

لَوْ كُنْتَ فِي يَومِ السَقِيفَةِ حَاضرًا لَشُفِيتَ مِنْ شَيخِ الضَلَالِ غَلِيلاً[41]

فالوهراني يخاطب في هذه الأبيات القاضي الأثير بأنّه اتخذه الصديق الخالص له دون سواه ، وهل يجوز أن يكون مقامه للجور و الظلم والاستبداد و الاستغلال ، وأنه كان يتوعّده ، لو لم يتدخل إبليس في هذا.

2 – رسالته إلى شمس الدين البعلبكي

هذه الرسالة لم تتجاوز صفحتين ، و كانت من بين الرسائل التي لم يكن لها استهلال ، فقد بدأها الوهراني بإعلام المولى شمس الدين بعلاقته بالقاضي الأثير بن بنان ، ذاكرا صفة النفاق فيه و ملازمته له ، فقال : " لاشك أن المولى شمس الدين سلمه الله قد سمع بامتزاج الخادم بالقاضي الاثير بن بنان ، و نفاقه عليه ، و ملازمته له في الليل و النهار".[42]

[40] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 89.

[41] المصدر نفسه ، ص 19.

[42] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني: منامات الوهراني و مقاماته و رسائله،ص231.

كما تحدث فيها عن شكوى التي بعث بها إلى الملك الناصر يخبره أن الأمير عضد قد وقع و قام القاضي الفاضل بمساعدته في قوله: " كان الملك الناصر ، أعز الله أنصاره ، لما توجه إلى الشام شكا إليه المملوك وقوعه مع الأمير العضد بكل ما كداه في الزمن القديم ، و ساعده القاضي الفاضل عنده ، فوقع له بالمبلغ على ديوان الصعيد".[43]

و ما لاحظناه على هذه الرسالة أن الوهراني قد وظف فيها العديد من الشخصيات : كالقاضي الأثير بن بنان الملك الناصر صلاح الدين ، الأمير العضد ، القاضي الفاضل ، الأمير عز الدين موسك الذي ستأتي ترجمته لاحقا ، وشمس الدولة بن منقد و هو " الأمين شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن منقذ الكناني" [44]،كما ذكر هارون الرشيد ، و يحي بن خالد بن برمك " الذي تولى في زمن المهدي تربية ابنه هارون ، و قويت الصلة بين هارون و يحي حتى كان الرشيد يناديه وهو خليفة يا أبني " [45] وقد وردت شكوى الوهراني لشمس الدين البعلبكي في نهاية رقعته قائلا فيها : " اللهم إلا أن يدخل يده المباركة في القصعة و يشير فيها بأمر من الأمور فعسى و هيهات فما يقدر الخادم يصف ما هو عليه من مكابدة الهموم و الأحزان و الله تعالى يحسن العزاء و يرزق الصبر ، وعوض من خزائنه الملأ الواسعة وهو حسبي الله و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم و السلام التام عليه و رحمة الله و بركاته >> [46] فالوهراني في نهاية رسالته يؤكد عجزه عن وصفه حزنه و غمه و مايشغل باله ، و يؤرق فكره ، ولكن أمله في الله سبحانه و تعالى كبير حيث طلب الوهراني منه أن يرزقه الصبر و قوة التحمل ، وأن يعوضه من كرمه الواسع.

---

[43] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 231.

[44] أبو القسام علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي : تاريخ مدينة دمشق ، ج65، ص226.

[45] علي ابراهيم حسين : التاريخ الاسلامي العام ، الجاهلية ، الدولة العربية ، الدولة العباسية ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط3 ، دت ، ص 367.

[46] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 231.

و هذه الرسالة كانت من بين المكاتبات التي إنبنت خاتمتها على السلام التام ، و التوكل على الله سبحانه و تعالى ، و الختام التام يدل على تأني و تروي الكاتب في كتابتها و إرسالها .

3- رسالة شكوى إلى الأمير عز الدين موسك على لسان بغلته

عز الدين موسك بن بكو الهذباني " وهو ابن خال السلطان ، وهو من أكبر أقاربه و مقدمي كتائبه ، و كان للقرآن حافظا ، و على الإحسان محافظا ، و لقضاء حقوق الناس ملاحظا ، ولم يزل للسلطان في هذه القروات ملازما ، وعلى قمع جمع الكفر عازما ، و لما اشتد مرضه ، استأذن في الدخول إلى دمشق ، فمات بها ، و دفن في جبل قاسيون ".[47]

هذه الرسالة التي كتبها الوهراني على لسان بغلته و علقها في عنقها و سيبها في دار الأمير عز الدين موسك " وهي من محاسن مخترعاته و لطائف نزعاته ". [48]

و كانت هذه الرسالة هي رقعته الوحيدة التي انتقل فيها الوهراني مباشرة من خلال توظيف بجملة اسمية كانت فاتحة الكلام في قوله : " المملوكة ريحانة بغلة الوهراني تقبل الارض بين يدي المولى عز الدين حسام أمير المؤمنين ".[49]

وكانت الرسالة الفريدة من نوعها ، حيث وظف الوهراني راويها من الحيوان ، وهنا نطرح سؤالا تبادر إلى أذهاننا ، لماذا اختار الوهراني البغلة في هذه الرسالة ، ولم يختر حيوان أخر ؟

[47] شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن غبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي السافعي : الرضوتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية ، ج3،4، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، دط ، دت ، ص64.

[48] محمد امين بن فضل الله المحبي الحنفي : خلاصة الاثير في أعيان القرن الحادي عشر ، تحقيق ، محمد حسن محمد حسن إسماعيل 3، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت دط، 1971م ، ص 470.

[49] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 90.

تعتبر البغلة من أكثر الحيونات استخداما في الأعمال الشاقة ، فالناس يستعينون بها لحمل أثقالهم و أمتعتهم ، و هي الحيوان الذي يرمز أكثر شيء للتواضع و الرضوخ ، و قد ورد ذكرها في كثير من الكتب ، مثل كتاب " البغال " للجاحظ ، وكتاب " نهاية الإرب في فنون الأدب " لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، و مما جاء في هذا الأخير عن البغلة: "و البغال من مركب الرؤوساء ، والسادة النجباء ، والقضاة و العلماء ، وهم يرجحون إناثها على ذكورها قال بعض الشعراء:

عَلَيكَ بِالبَغْلَةِ دُونَ البَغْلِ فَإنّهَا جَامِعَةٌ للشَمْلِ

مَرْكَبُ قَاضِي وَ إِصْلاَحُ عَدْلٍ وَعَالِمٌ و سَيدٌ وَ كَهْلٍ [50]

وقد امتلك رسول الله صلى الله عليهم وسلم " بغلة شهباء يقال لها دُلدُل أهداها له المقوقس " [51] و مما ورد في كتاب البغال للجاحظ قوله : " نبدأ إن شاء الله بما وصف الاشرف من شأن البغلة في حسن سيرتها ، وتمام خلقها ، والأمور الدالة على السر الذي في جوهرها ، وعلى وجوه الارتفاق بها و على تصرفها و منافعها و على خفة مؤونتها في التنقل في أمكنتها و أزمنتها ". [52]

ولم ترد البغلة في النثر فقط ، بل هناك من تحدث عنها في شعره ، بعض الشعراء هجاها ، و بعضهم مدحها تذكر من بينهم ، ابن رشيق القيرواني الذي هجا البغل بقوله :

فَأُوصِيكُمْ بِالبَغْلِ شَرًا فَإنّهُ مِنَ العِيرِ في سُوءِ جِلَاعِ قَرِيبُ

[50] أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الارب في الارب ، تحقيق : يوسف الطويل ، ج10 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 48.

[51] المصدر نفسه ص 49

[52] أبو عثمان عمور بن بحر الجاحظ : القول في البغال ، تحقيق شاذل بلا ، دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، ط1 ، 1995 م ، ص 11.

و كَيفَ يَجِيءُ البَغْلُ يَوْمًا بِحَاجَةٍ تَسُرُّ وفِيهِ للحِمَارِ نَصِيبُ؟ [53]

فقد نسب القيرواني صفة الشر للبغل ، وأنه من الحيوانات التي لا تأتي بالخير لصاحبها و لا بشيء يسر ، لأنه حيوان هجين ينتجه تزاوج فرس و ذكر حمار .

أما من الشعر الذين مدحوا البغل في أشعارهم كثيرون جدا، من أمثال أبو المكارم بن عبد السلام يمدح بغلة له:

كَأَنّهَا النَّارُ فِي الحَلْفَاءِ إنْ رَكَضَتْ كَأَنّها السَيْلُ إنْ وَافتكَ مِنْ جَبَلِ

كَأَنّهَا الأَرضُ إنْ قَامَتْ لِمُعْتَكِفٍ كَأَنّهَا الرِيحُ إنْ مَرَّتْ عَلَى القَلَلِ [54]

فقد شبه أبو المكارم بغلته كالنار في الحلفاء، والحلفاء وهي مادة نباتية رقيقة تشبه سعف النخل و هي سريعة الاحتراق ، وهي تشبيه لسرعتها ، كما شبهها بالسيل وهو ماء المطر إذا جرى مسرعا فوق سطح الأرض ، و أن سرعتها تشبه سرعة الرياح عندما تمر على قمم الجبال ، و كلها صور بيانية قام فيها الشاعر بتصوير سرعة بغلته تعود الآن إلى رسالة الوهراني التي كتبها شاكيا لعز الدين موسك ، قال وهو يشكو على لسان بغلته قائلا : " و استجاب فيه صالح أدعية الجم الغفير من الخيل و البغال و الحمير ، و تنهي إليه ما تقاسيه ، من مواصلة الصيام ، و سوء القيام ، و التعب بالليل ، و الدواب نيام قد أشرفت مملوكته على تلف ، وصاحبها لا يحتمل الكلف و لا يوقن بالخلف ، ولا يحل به البلاء العظيم إلا في حاجتي إلى القضيم " [55] فالبغلة هنا تصف حالها وما آلت إليه أحوالها ، وما

[53] كامل محمد محمد عويضة ، ابن رشيق القيرواني الشاعر البليغ ، ج5 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، دط ، دت ، ص36.

[54] ثريا بدوي : شعر على هامش الشعور ، الحوار المتمدن ،2014/08/03 ، تاريخ الزيارة: 06/ أفريل 2018 ، الساعة 17:39.

[55] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله ، ص 90

تقاسيه من تعب وجهد كبيرين ، و أنها قاربت على الهلاك و التلف ، بسبب صاحبها الذي لا يملك ما يطعمه إياها ، وأن البلية لا تصيبه إلا وقت حاجتها إلى الشعير و القضيم.

وقد وردت في رسالته هذه العديد من الشخصيات الأدبية المعروفة و المشهورة : كابن تمام ، و الحارث بن همام راوي مقامات الحريري ، و محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، أب العلا ء، أبي الطيب ، أبي الحريش بن هلال القريمي ، و محمد بن عمار المهدي الأندلسي .

و هذه الرسالة كانت من بين الرسائل التي اعتمد فيها الوهراني على أسلوب السخرية ، حيث استعان في موضوع الشكوى على الهزل و المزاح ، و أكثر من توظيف ما تأكله الحيوانات لاسيما البغال ، قال على لسانها " فشعيرها ابعد من الشعري العبور ، لا وصول إليها ولا عثور، و قرطها أعز من قرط ماريا ، لا تخرجه صدقة و لا هبة و لا عارية ، والتين أحب إليه من الابن ، و الحليان عنده أعز من دهن البان و الحب أقل من الياقوت في بيت النبطي و العقل في رأس البلطي".[56]

فهي هنا تقوم بوصف بخل وشح صاحبها ، حيث أنها لا ترى شعيره و لا حبة منه و أنه بالنسبة لها بعيد و أبعد من الشعرى العبور " و الشعرى في لسان العرب كوكبان : تسمى أحدهما الشعرى الكبرى و هي تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر و يُقال لها : مرزم الجوزاء ، وتُسمى : كلب الجبّار أيضا ، وتُسمى الشعرى اليمانية ، و الثانية الشعرى الغميصاء ، وهي التي في الذراع و المجرة بينهما ، وتسمى الشامية ، وسبب تسميتها بالغميصاء ، على ما زعمه العرب أنّهما كانتا أختان أو زوجتان لسهيل ، فانحدر سهيل إلى اليمن فأتبعته الشعرى

[56] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله ، ص 91

العبور ، فعبرت المجرة ، فسميت العبور و أقامت الغميصاء ، تبكي حتى غمصت عيناها".[57]

وهي توظيف صائب في وصف شدة البخل و أنه ضمن عليها بما عند ، كما وصفت أيضا هذه الصفة الدينية فيه بالمثل المستخدم في هذا القول و هو قولها : " قرطه أعز من قرطي مارية " و المثل الصحيح هو " خُ ذه و لو بقرطي ماريا" و هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي ، وكان في قرطيها درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما و لم يدر ما قيمتهما، فضربهما الناس مثلا في الرغائب و النفائس قالو ا : أنفس من قرطي مارية ، وذكر الميداني أنها أهدت قرطيها غلى الكعبة و المثل اعني بخده و لو بقرطي مارية ، يضرب للشيء الثمين الذي لا يفوتك بأي يكون [58] ، ثم ذكرت في هذه الرقعة رفض الوهراني لمختلف العلوم و الآداب مقابل متاعه بالأكل و الشرب ، حيث أوردت هذا بأسلوب ساخر في قولها : " فما يهون عليه أن يعلف الدواب إلا بعيون الآداب و الفقه اللباب و السؤال و الجواب و ما عنده الله من حسن الثواب ، و معلوم يا سيدي أن البهائم لا توصف بالحلوم و لا تعيش بسماع العلوم ، و لا تطرب إلى شعر أبي تمام ، و لا تعرف الحارث بن همام، و لاسيما البغال التي تشتغل في جميع الأشغال ".[59]

فالبغلة تصف في هذه الرسالة و تروي سوء طباع الوهراني في تفضيل ملذات الحياة على طلب العلم والأدب ، وهي تحكي أيضا حالتها الاجتماعية التي تعيشها مع ملكها الوهراني ، الذي يأبى و يرفض أن يطعمها و لو حبة شعير ، في قولها : "فأنصرف الشيخ منكسلا

[57] محمد بن أحمد الخطيب الشريني ، تحقيق ، إبراهيم شمس الدين ، الجزء 4 دار الكتب العلمية لبنان ، بيروت ، دط2 ، 1972م ، ص 136.

[58] محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي : جنى الجنتين في تميز نوعي المثنيين ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة منشورات دار الافاق الجديدة ، بستان ،بيروت ، ط1 ، 1981 ، ص 144.

[59] ركن الدين بن محمد بن محمد بن محرز الوهراني : مناممات الوهراني و مقاماته ورسائله، ص 92.

القلب مغتاضا من الثلب هو أنحس من الكلب ، فالتفت غلى المسكينة و قد سلبه الغيظ ثوب السكينة ، وقال لها : إن شئت أن تكدي فكدي لاذقت شعيرا مادمت عندي ".[60]

وكانت هذه الرقعة لطلب التذلل و القرب ، وما يدل على تدلل البغلة المملوكة ريحانة للأمير عز الدين موسك فيها هو ذكرها لبعض محاسنه و محامده على لسان العلاف أرادها أن تتفاءل بطيبة قلب الأمير ، ثم طرحها لخديها على قدميه " فقال لها العلاف : لا تجزعي من حباله ، ولا تلتفتي إلى سبالهّ ، ولا تنظري إلى نفقته و لا يكون عندك أحس من عنفقته ،هذا أمير عز الدين سيف المجاهدين يده أندى من الغمامة ، وعزيمته أمضى من الحسام ، و وجهه أبهى من البدر ليلة التمام ، يرثي المحروب ، و يفرج المكروب ، وهو نبي بن أيوب ، لا برد قائلا و لا يخيب سائلا ، فلا سمعت المملوكة هذا الكلام ، جدبت الزمام ، ورفضت الغلام ، وقطعت اللجام ، وشقت الزحام حتى طرحت خدها على الأقدام ، ورأيك العالي و السلام " [61] و من محاسنه المستخلصة من هذا القول أنه يتميز بصفة الكرم و الجود ، و العزيمة ، والجمال و الطلة البهية ، مفرج للكروب و الهموم ، و نبي من بني أيوب ، لا يخيب أمل لاجئ لجأ إليه.

[60] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله ، ص 92-93.

[61] المصدر نفسه الصفحة 93.

ثالثًا رسائل المدح

يعتبر المدح من أهم الموضوعات المدرجة في الرسائل ، بغض النظر إلى نوعها ، سواء كانت ديوانية أو إخوانية ، وهو ذكر المحاسن ، و الثناء بذكر الجميل ، أي إحسان الثناء على المرء بما له من الصفات الحسنة و قد ذكر ابن محرز الوهراني في كتابه خمس رسائل كانت موجهة إلى فئة من الأمراء و الوزراء ، دون عامة الناس ، وكانت مواضيعها تدور حول مدح خصالهم و الثناء عليهم و قسمت هذه الرسائل الأربعة على النحو التالي : رسالتين إلى القاضي الفاضل و رسالة إلى الملك الناصر صلاح الدين و الأخيرة إلى الأثير بن بنان .

1- رسالة إلى القاضي الفاضل :

و حقيقة الأمر فإن هناك رسالتين إلى القاضي الفاضل و قد سبق أن أرسل له ابن محرز رسالة شوق و قد جاء في متن الرسالة الولى قوله : "لو أن بعض الفضلاء المتقدمين ، أو أحد الفصحاء المتكلمين خاض في أودية الأوهام ، على نبات الإفهام و غاص في بحار الأفكار و المعاني الأبكار ليمدح بذلك السبعة الدراري ، حتى يجعل النجوم الحواري لها كالجواري ... فأسأل البارئ تعالى أن يحمد العاقبة و ماله و أن يبلغه النهاية في أماله، بحمده و آله ".[62] .

و قد عدد الوهراني في هذه الرسالة خصال القاضي و وصفه أيما وصف و ختمها بالدعاء له ، ثم ورد فيها بيت من الشعر يثني عليه قائل :

و أَنتَ أَجّلُ مِنْ عَبْدِ يَهنِي بِعَودَتِهِ فَهَنَيتَ الجَلاَلَا.[63]

[62] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 111.
[63] نفس المصدر ص 113.

هذا كان بالنسبة لرسالته الأولى أما في الرسالة الثانية ، فقد أظهر الوهراني وجه التكسب بشكل واضح و صريح فقد أكثر الألفاظ التي تدل على الإجلال و التبجيل مثل : القاضي ، الفضل ، مولنا ، و التي تشير غلى رغبته و طمعه في خير القاضي ، بالرغم من شكه في أنه لن يكون له ح ظ مع القاضي فكان منه إلا أن يصرح بتكيبه بعبارات أنه ى بها رسالته قائلا : " فكسدت عنده بضاعة الخادم و بارت بضائع البطالين ، فيجب على الرجل المطوق بصنائعه الضعيف المنة عن القيام بشكره إدا هم بخدمته في موسم أوفى رأس شهر جديد ، أن يقف على باب داره في وقت ركوبه فيهنئه و ينصرف ليجمع بين الخدمة و التخفيف و السلام" [64] هنا لفظا بقدر ما رغبها نقدا.

2- رسالة إلى الملك الناصر صلاح الدين

توجد في كتابة الوهراني رسالتين إلى المالك الناصر صلاح الدين الرسالة الأولى يقول فيها : الملك الناصر ، أدام الله أيامه و حرس إنعامه كالفلك الداتر إن وافقك في الصعود ، وقابلك بالسعود ، وأورق في يدك يابس العود ، و كالبحر الزاخر إن ركد غليانه ، وسكن هيجانه ، أغناك لؤلؤة و مرجانه ، والخادم يتوقع نظرة من سعودة ، أو درة من نجاز و عودة يبلغ بها مناة ، ويصل بها إلى غناه ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب" [65] هذه الرسالة هي الرسالة الأولى التي كتبها الوهراني للملك الناصر جاءت على شكل موجز و مختصر لكن هدفها دقيق وواضح يفتتحها الوهراني بذكر اسم المرسل إليه (الملك عبد الناصر) و الدعاء له أن تدوم أيامه ثم يدخل مباشرة في المدح فتفنن في تعداد خصال الملك الحميدة ثم يختتمها بعد كل ذلك المدح بطلب النظر إليه ووفاء و عودة متوكلاً في ختامها على الله وراجيًا توفيقه إياه.

[64] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ص211.

[65] المصدر نفسه ، ص 211.

هذا بالنسبة إلى الرسالة الأولى أما الرسالة الثانية فكانت إن صح التعبير أطول من الرسالة الأولى وبما أنها أطول منها فمن الطبيعي أن تكون مشبعة بعبارات المدح و أسماء التفضيل من مثل : أمدح ، أشكر ، أسمى ، أكرم... وقد أورد الوهراني في رسالته شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي ليقيم مقارنة بينها وبين الملك الناصر لقوله : "...و أين عبد ثقيف ، من الملك الناصر العفيف؟ و الله ما يصلحُ أن يكون من حياته ولو ملكهُ لأعطاه بعض هباته ، والسلامُ".[66]

و ربما يكون خلف توظيف شخصية الحجاج في هذه الرسالة يحمل مدلولات اجتماعية غير حميدة ترتبط بسيرته ، وتقربه من القاضي الفاضل ومراسلته له إنما لكونه مقربًا من الملك الناصر إذ لما استقل السلطان صلاح الدين بالملك و نطب لبني العباس على ملوك مصر فوض إلى الفاضل الوزارة و ديوان الإنشاء فكان يتكلم فيهما جميعًا و أقام على ذلك إلى أن مات السلطان صلاح الدين.[67]

3 – رسالة إلى القاضي الأثير ابن بنان

تميزت هذه الرسالة بتوظيفها لشعر فقد وظف الوهراني فيها أربعة أبيات شعرية و ربما كان غرضه من فعلته هو إبراز فنونه و ثقافته المتنوعة ، وكبقية رسائل المدح فقد احتوت الرسالة على أرفع صفات المدح حتى أنه قد لجأ إلى ذل نفسه لإبراز محاسن ممدوحة ، وقد أكثر الوهراني في الرسالة توضيف الأضداد لإضفاء البلاغة على التعبير ،فالرسائل هنا أغلبها لا تخلو من الدعاء وذكر الله تعالى ، وقد طغى كذلك عليه الجانب الخلقي و خاصة صفة الجود و الكرم ، و هذا ما لجأ إليه كل كاتب متكسب للوصول إلى غايته المنشودة.

[66] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله ، ص 212.

[67] القلقشدي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج 1 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر ، القاهرة ، د ط ، 1922 ، ص 28.

رابعًا : رسائل الهجاء

اشتهر الهجاء في النثر كاشتهاره في الشعر و الهجاء هو نوع من أنواع الشتم ، أي خلاف المدح ، ومادام الوهراني لاذع اللسان كثير السخرية فإن كتاباته طالت هذا الغرض فكما تناولت رسالته غرض المدح و الشكوى و الشوق فهناك رسائل أخرى دارت مضامينها حول الهجاء و هي ثلاث رسائل : رسالة إلى القاضي الفاسق و رسالة إلى عبد الحليم الواعظ و الأخيرة إلى أبو القاسم الأعور.

1 – رسالة إلى قاضي الفاسق

بمجرد النظر إلى عنوان الرسالة " وكتب إلى قاضي الفاسقين و هو بمصر عن نائبه بدمشق " فإن أول ما يتبادرُ إلى الأذهان هو ارتباط لفظة الفسق بالهجاء ، و تعتبر هذه الرسالة من أشد مواضيع الهجاء التي كتبها الوهراني وقد احتلت ستة صفحات من الكتاب يستهلها الوهراني أولاً بتبيان علو مقام المرسل إليه ثم ما يلبث إلى توجيه له كما من الهجاء اللاذع كقوله : " أطال الله قرون مولاي القاضي الأجم الفاضل ، الإمام العالم ، قاضي الفاسقين ، إمام اللاطة ، مفتي الفسقة ، تاج الزناة ، عز العلوق ، مجال المستارب ، قطب الدساكر..." [68] و لم يكتفي الكاتب بذكر الجانب الخلقي فقط بل انتقل إلى الجانب الفزيولوجي كذلك كقوله "...أشكو إليه من الشوق إلى طلعته و صلعته ، و الحنين إلى قاعته و رقاعته ، و الارتياح إلى قامته و هامته ، فستوفى إليه شوق الفاسق إلى المباعر ، والمنقطع إلى الحوق الأباعر ، وشدني إله حنين الجمل إلى الأورات..." [69] وكل هذا الهجاء لم يشفي غليل الكاتب فختم رسالته بأبات شعرية كتبها بنفسه حول البخل و رحيل الكرماء ، يقول فيها :

أنستُ بنو ستاذي بِمصْرَ وَ أَهْلِهَا فَبَكَتْ دِمَشْقُ عَلَيهُم و الشَامُ

[68] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 144.

[69] المصدر نفسه ، ص 135

رَحَلَ النَدَى و الجُودُ يَومَ رَحِيلِهِم وَ تَخَلفَ الحِرمان و الإعدامُ

كانُوا لنَا كالوالدينَ تَعُطفًا فاليَومَ نَحْنُ لِبُعدِهِمُ أَيْتَامُ

فانظر لنفسك واتعظ بأبناء جنسك و رأيك في ذلك أعلى و السلام.[70]

2 – رسالة إلى عبد الحليم الواعظ

كتب الوهراني هذه الرسالة إلى ابن حليم الواعظ و هي رسالة قصيرة إذ ما وزناها مع الرسالة التي كتبها إلى القاضي الفاسق هذا من حيث الشكل إنما إذا تم موازنتها من حيث المضمون فإننا لا نجدُ ابن حليم الواعظ قد سلم من هجاء الوهراني فقد قذفه بأكثر و أخطر الاتهامات و التي جاءت على شكل سؤال وجهه إلى الفقهاء في قوله : " ما تقول السادة الفقهاء رضي الله عنهم و أرضاهم في رجل يرى أنه من أئمة الشرع و من أرباب الأصل و الفرع ، ويعتقد أن له الدرجة المنيعة في مذهب أبي حنيفة ، ويقول لو جادلت مالكًا لكنت له مالكًا ، وله لقيت إبن إدريس لسلم إلى التدريس ، ولو أدركت ابن حنبل لكنت أتقى و أنبل ، وسره وفقكم الله بخلاص نجواه ، و فعله يكذب دعواه ، وذلك أنه يبيح الفروج بفروج ، ويستحل سفك الدماء على البيض الدمى ، ويأخذ بأرخص الأقوال ، في استباحت الأموال..." [71] فقد ذكر الكاتب مفاخر عبد الحليم الواعظ و أردفها بجملة من الصفات القبيحة التي على حسب الكاتب تمثل حقيقة شخصية عبد الحليم الواعظ ، وقد أجاب الفقهاء في هذه الرسالة على سؤال الوهراني بقولهم : "...إن صح ما ذكر عنه من هذه الخلال و الاختلال فليس إلا أن يذب ، وينبذ قصيًا ، بعد أن ينتف من ذقنه ما طال و ما قصر و مابين ذلك و ما كان ربك

[70] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله ، ص 139.

[71] المصدر نفسه ، ص 130.

نسيًّا ، و ليس من الحقيقة الجائز ، دفع مال الوقف للعجائز [...] ، وحسبنا الله و نعم الوكيل".[72]

3 – رسالة إلى أبي القسم الأعور

بالنسبة إلى الرسالة التي كتبت إلى أبي القسم الأعور الملقب بالعون فإنها كانت اقصر رسالة بنسبة لرسالتين التي قبلها و لقد كان توظيف شخصية أبي القاسم الأعور معهودة عند الوهراني فهي من الشخصيات الثانوية الموجودة في " المنام الكبير".

و قد استهل الوهراني رسالته الهجائية بقوله : " يا مولاي الشيخ الإمام الزاهد دبوس الإسلام..." [73] و هذا فيه نوع من السخرية لأبي القسم ، كذلك لم يتوانى الوهراني في ذكر صفاته السيئة.

[72] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله ، ص 131.
[73] المصدر نفسه ، ص 124.

2 – الرسائل الوصفية

1 -عشرة أشياء من أبواب البر

هده الرسالة صنفناها ضمن الرسائل الوصفية , و هدا النوع من الرسائل قد ذكرناه سابقا , و اعتمد كثيرا من الأدباء و كتاب الرسائل على الوصف كأداة للتعبير .

و الوصف في الأدب "هو نهج في التعبير يطابق نهجا في الإدراك, و يجسد سياقا في الوعي , مبعثه النفس التي تعي ذاتها و محيطها الطبيعي , و قوامه نقل المشاهد و الأحداث و الحالات كما تنعكس في مرآة الذات الإنسانية قولا أو كتابة " [74], فالوصف لا يعتمد على رؤية الشيء الجميل أو القبيح , ووصفه وصفا سطحيا , عن طريق اعتماد النفس , أو العقل , بل يمكن في مسألة الحضور الإنساني نفسا و عقلا معا , لأنهما الجانبان الرئيسيان اللذين يكونان و يؤسسان الذات البشرية , و هده المسالة هي التي تحدد طبيعته فيما يشاهد الإنسان, و يدركه و فيها يفرض الإنسان تقنياته التعبيرية الفنية .

و هده الرسالة التي بين أيدينا اعتمد الشيخ الوهراني على تقنية الوصف , قام فيها بذكر مجموعة من الشخصيات , اغلبهم من الفقهاء و ذكر ما يتميزون به من سمات , و اعتبرها الوهراني من أبواب البر حسب رأي أصحابها و هي تغضب الله و ترضي الشيطان و هي

1 – انقطاع ابن الصابوني إلى الله عز و جل في القرافة , و ابن الصابوني شخصية ذكرها الوهراني في رسالته إلى القاضي الأثير بن بنان في قوله " إن عثرت على الشيخ ابن الصابوني سلم عليه عني " [75] و لكننا لم نجد ترجمة هده الشخصية في كتابه هدا, و بما أن هده الشخصيات اغلبها علماء بأصول الشريعة و أحكامها فربما يؤيد بهده الشخصية " الإمام بقية المشايخ أبو الفتح محمود بن احمد بن علي المحمودي الجعفري بن الصابوني نسب إلى

[74] ايميل بديع يعقوب ، ميشال عاصي : المعجم المفصل في اللغة و الأدب ، ص 1306.

[75] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 88.

جد والدته شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني الصوفي المقري , و كان يسكن بالجعفرية ببغداد فنسب اليها " [76]

2 – تعصب الخبوشاني لقبر الشافعي و هو " محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسين نجم الدين ابو البركات الخبوشاني , الصوفي الفقيه الشافعي , قال القاضي شمس الدين كان فقيها ورعاة تفقه بنيسابور علي محمد بن يحي , و كان يستحضر كتابه المحيط حتى قيل " انه عدم الكتاب فاملاه من خاطره و له كتاب تحقيق المحيط و هو في ستة عشر مجادا رايته , و قال الحافظ المتدري كان مولده بخبوشان في رجب سنة عشر و خمسمائة و حدث عن أبي الأسعد هبه الرحمن القشيري , و قدم مصر سنة خمس ستين فأقام بالمسجد المعروف بالقاهرة " [77] و تعصب الخابوشي لقبر الشافعي هي حادثة , عندما فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي مصر سنة 567هـ

" أراد شيخه الفقيه الصوفي نجم الدين الخابوشاني الشافعي الاشقري نبش قبر المقرئ أبي عبد الله ابن الكيزاني , هذا رجل حشوي لا يكون بجانب الشافعي و في رواية أخرى عنه : لا يكون زنديق بجانب صديق ، ثم نبش قبره و أخذ رفاته و دفنها في موضع أخر ، فثار عليه الحنابلة و أهل الحديث . و تألبوا عليه و جرت بينهما حملات حربية انتهت بانتصاره عليهم" [78] كانت هذه أهم أحداث هذه القصة.

3 – تنقل القاضي قبل صلاة الجمعة و بعدها.

---

[76] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : تهذيب سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط أحمد فايز الحمصي ، عادل مُرشد ، ج 3 ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1991 م ، ص 113.

[77] أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ج 12 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، 1971 م.

[78] خالد كبير علال : الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث خلال القرنين 5 و 6 الهجرتين ، دار الإمام مالك الأولى ، الجزائر ، البليدة ، ط 1 ، 2005 م ، ص 25.

4 – بكاء الفقيه البهاء على المنبر يوم الجمعة ، و هي شخصية ذكرها الوهراني في رسالته إلى مجد الدين بن عبد المطلب وزير تقي الدين في قوله : " كان الفقيه البهاء أراد أن يشتريهم مني بالدون الطفيف حتى يأخذهم هو من عتم الخولي بيشمورية كبارًا فلم أجبه إلى البيع فأنحسني فيهم كما ترى".[79] و لكن مع البحث المطول في كتب التراجم التي بين أيدينا لم نجد ترجمة لهذه الشخصية

5 – قراءة الوهراني السبع في صبيحة كل يوم.

6 – سماع ابن عثمان لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في جمعة واحدة ، و إقراؤه لذلك على رؤوس الأشهاد.

7 – حضور ابن ميماتي لمجالس الوعظ في القرافة ، و بكاءه عند قراءة القران و ابن ميماتي " هو الأسعد بن المهذب ، صاحب كتاب قوانين الدواوين ، الذي نشره عزيز سوريال عطية بالقاهرة ، سنة 1943 م ، وينتمي ابن ميماتي إلى أسرة من نصارى أسيوط ، ولي أفراد منها مناصب هامة في الإدارة المصرية زمن الفاطميين و الأيوبيين ، وتولى أبوه ديوان الجيش في أواخر عهد الدولة الفاطمية و أوائل عهد الدولة الأيوبية ، و اعتنق الإسلام هو أولاده و خلفه ابنه الأسعد مؤلف هذا الكتاب على ديوان الجيش ، و أضاف إليه صلاح الدين و ابنه العزيز ديوان المال ، واختص بصحبة القاضي الفاضل"[80]

8 – إنكار أبي عبد الله البغدادي على المزارين خاصة.

9 – و بنيان ابن أبي الحجاج لقبر أسية ، و هو مسجد فيه قبر أسيا بنت مزاحم زوجة فرعون بالقاهرة ولعله يريد ب ابن أبي الحجاج موفق الدين أبو الحجاج يوسف بن الخلال

[79] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته و رسائله .

[80] يسري عبد الغني عبد الله : معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 181

من كتاب السر ، كتب بقية أيام الحافظ إلى أخر أيام العضد و به تخرج القاضي الفاضل ، ثم أشرك العاضد.

مع ابن الخلال في ديوان انتشاء القاضي جلال الدين محمود الأنصاري ، ثم كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني بين يدي الخلال في وزارة صلاح الدين ، فلما ملك صلاح الدين كتب له القاضي الفاضل ".[81]

كانت هده أهم الأبواب التي ذكرها الوهراني في هـ ذهـ الرسالة ، وفي نهاية حديثه ، نفى صلاح هذه الأعمال في قوله : " ذكروا أن هذه الأعمال الصالحة لا يعبأ الله بها ، وهي أحب إلى إبليس من كبار الذنوب "[82]، و هذه الشخصيات ذكرها في هذه الرقعة ، كانوا من الفقهاء و المشايخ ، ولم يرد ذكرهم في رسائل من ، ما عدى ابن الصابوني ، والفقيه البهاء الذي لم نجد ترجمة لشخصيته ، و ابن أبي الحجاج ، و ربما هذا يدل على عدم رغبة الوهراني من التقرب منهم.

2-رسالة في الطير :

كانت هذه الرسالة من بين الرسائل المستهلة بالبسملة ، وقد اختلفت الرؤى حول نسبتها إلى ابن مخرز الوهراني ، وذلك في كتابه المعنون بعنواني " منامات الوهراني و مقاماته ورسائله " ، وكتاب صلاح الدين الصفدي " اعاين العصر و أعوان النصر " ، حين تضمنا نفس الرسالة ، و أن صلاح الدين قد نسبها إلى القاضي محي الدين عبد الطاهر ، وذكرنا هذا سابقا .

[81] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج2، درا إعياء الكتب العربية عيسى البالي الحلبي و شركاه ، ط1 ، 1967، ص 233.

[82] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و المقالات و رسائله ص 233.

و ما دفعنا إلى الشك أكثر في عدم مصداقية هذه الرسالة من حيث نسبتها إلى الوهراني هو تشابه الاسمين ، فكلاهما يحمل نفس الاسم " جمال الدين " فربما يكون هناك اختلاط في الأسماء ، كذلك تصريح المحققين في هامش هذه الرسالة في كتاب الوهراني أنهم لم يجدوا إلا نسخة واحدة فقط منها ، ووضعوا لها عنوانا يتفق مع أسلوب المؤلف ، كذلك عدم فهمها لبعض كلمات الرسالة مثل كلمة "القدور" و عند مقارنتنا بين الرسالة التي جاءت في مدونة الوهراني ، والرسالة في كتاب صلاح الدين الصفدي المنسوب لمحي الدين عبد الطاهر فإننا نجد ما نقص في رسالة الوهراني قد تم دكره في رسالة محي الدين ، مثلا في قول الوهراني : "أخس مخلوقات الله تعالى و المسمى بالوطواط كم خرى ومكم ضر، و كم ساء و مسار ، وما أبرأقط و لا أبر ، ولا هو حيوان من بحر ينتفع به و لا من بر ، و هذا كتابنا إلى كل ذي بسط و قبص ، وإلى كل ذي إنتهاس و انتهاس و عض " [83] أما في كتاب " أعين العصر و أعوان النصر "فقد ورد وصف الوطواط كالأتي : " أخس مخلوقات الله تعالى و المسمى بالوطواط كم ضرى وكم ضر، و كم ساء و مسار ، وما أبرأ قط و لا أبر ، ولا هو حيوان من بحر ينتفع به و لا من بر ، و هذا كتابنا إلى كل ذي بسط و قب ض ، وإلى كل ذي إنتهاش و انتهاش و عض..." [84] و ما يثير الريبة كذلك وجود نقص في خاتمة الرسالة في قول الوهراني :" و ليعين بغلته إعلانا فصيحا يستوي في سماعه البعيد و القريب ، وليقرأ هذا المرسوم على رؤوس الأشهاد ، عند الآبار المعطلة ، و البراري الخراب ، و يزال من التراب المظلمة و العتاب عند كل باب "[85] أما في كتاب صلاح الدين الصفدي فقد وردت بشكل آخر ، وذلك في قوله : "و ليعلن بلغتهى إعلانا فصيحا يستوي فيه البعيد و القريب ، و يتجاوز فيه في ذلك كل سمي بهذا الاسم المشؤوم ، إدا لكل مرئ من نعته نصيب ، و ليقرأ هذا المرسوم على رؤوس الأشهاد و عند الآبار المعطلة و البراني و الخراب و اليباب ،

[83] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و مقاماته ورسائله ص 236

[84] صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، ج4، ص 206

[85] ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني و المقالت و رسائله ص 237.

و يزيل من الترب المظلمة و القباب عند كل باب ، والختام الشريف السليمني أعلاه حجة بمقتضاه إنشاء الله تعالى >> [86] هذه كانت بعض المقتطفات من رسالة الوهراني ، ورسالة محي الدين بن عبد الطاهر ، حيث لاحظنا فيها الكثير من النقص سواء في الكلمات أو في الجمل .

أما الآن فتنتقل إلى الحديث عن موضوع الرسالة الوهراني ، ورسالة سواء كانت للوهراني أو لغير ، فإن من الواجب علينا دراستها المضمون الذي دارت حوله.

بدأت هذه الرسالة بالبسلمة على لسان سيدنا س ليمان عليه السلام ، وهي رسالة تتحدث بصفة عامة عن الطيور ، وذلك بذكر أنواعها و معايشها ، بدأ الوهراني فيها بوصف الطيور الحسنة حيث ذكر طائر الورق و هو نوع من الحمام وصفها بالحسن و الجمال و العفاف و أنها كانت تستخدم قديما لنقل رسائل العشاق ، كما وصف الوهراني طائر البغاث وهو طائر صغير لونه لون العبار ، بطيء الطيران طويل العنق ، وقد ضرب له مثل في تراثنا العربي " إن البغاث بأرضنا يستشير" وهو مثل يضرب للضعيف يقوى و يستبد إذا واتته الظروف ، ووصف الهدهد بحسن اعتذاره في خبثه و دهائه و لا تنسى حسن خطبته و جميل خطابه في قضية سيدنا سليمان ، و ملكة سبأ، كما تحدث الوهراني عن طائر الغرنيق وهو طائر ماني أبيض طويل الساق جميل المنظر له العنق ذهبية اللون ، وقد اشتمل حديثه أيضا وصف عن طائر السبيطر و طائر طويل العنق جدا ، و ال لقلق ، و بهجة ألوان الطاووس التي شبهها بألوان قوس قزح.

أما بالنسبة لطائر الخفاش فقد جعله الوهراني أخر طيور وكان حديثه عنه مذموما وذلك في قول الوهراني: " وأنا ذكرنا في بعض ذوات الأجنحة جنسا حقير السمات ، أسود الوجه والقفا و الصفات ، لا يألف إلا قبور الأموات و لا يسعى إلا في الظلم والظلمات ....ميشوم

[86] صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، ج4، ص 207.

الطلعة مذموم النجعة مرجوم البقعة سيئ الدار ، قبيح الآثار ، مؤذن بخراب الديار ، أسود من قار و أفسد من فار ،لا يحسن به الانبساط و لا يمكن معه الاحتياط ، أحسن مخلوقات الله تعالى و هو المسمى بالوطواط".

و ما جعل الوهراني يضع الخفاش في أخر مرتبة ليبين سوء و صفه ، مقارنة بحسن و جمال و بهاء باقي الطيور المذكورة من قبل ، حيث استغرق الوهراني في وصفه صفحة ونضف ، لم يكن الوهراني الوحيد الذي تحدث عن جنس الطير ، فقد كان هناك اهتمام بالغ بهذا النوع من الكتابات في الأدب العربي ، كالجاحظ في كتابه " الحيوان" .

خاتمة

في ختام هذا البحث " فن الرسالة عند أبي محرز الوهراني دراسة فنية موضوعاتية " استخلصنا مجموعة من النتائج المتمثلة فيمايلي:

1 – حياة الوهراني لم تكن مستقرة كان كثير الترحال والتنقل من بلد إلى أخر.

2 – ضياع الكثير من أثاره الأدبية بسبب الهجرة و الظروف السياسية التي مر بها.

3 – تنوع انتاجاته الأدبية من منامات و مقامات ،رسائل و خطب.

4 – طغيان فن الرسالة على باقي الفنون النثرية الاخرى حيث كان رصيده منها أربعة وثلاثون رسالة.

أما بالنسبة للنتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للرسائل و موضوعاتها ، فهي كالأتي:

– اعتماد فن الاستهلال أو حسن الاستهلال كبداية موفقة في التمهيد لموضوع الرسالة.

– تنوع الاستهلالات ، بين رسائل مستهلة بالبسملة و الحمدلة و الدعاء و الشعر.

– موافقة الاستهلال في رسائل المساجد التي إفتتحها بالبسملة و الحمدلة، و الشخصيات الأدبية و السياسية بالأبيات الشعرية.

– حسن اختيار العبارات المعبر بها في الرسائل بحسب مكانة و منزلة المرسل إليه.

– تنوع مصادر إقتباس الألفاظ الموظفة في الرسائل من ألفاظ معبرة عن حالته النفسية، ألفاظ من القرأن الكريم ألفاظ مستخدمة في الحياة العامية و الاجتماعية ، وألفاظ مستوحاة من ثقافات أخرى.

– تنوع موضوعات الرسائل و خاصة الرسائل الإخوانية ، حيث تضمن الكتاب رسائل شوق و حنين ، رسائل شكوى وعتاب و لوم ، رسائل مدح ، ورسائل هجاء.

– إختلاط موضوعات الرسائل ، حيث مزج الوهراني بين الشوق و المدح و أحيانا بين الهجاء و العتاب

– ندرة الرسائل الوصفية ، حيث تضمن مؤلفة " مقامات الوهراني ومقاماته ورسائله " ثلاث رسائل فقط ، رسالة استغنينا عنها لما فيها من كلام فاحش إحتراما للملتقي .

– رسائل الهجاء خصصها الوهراني للفقهاء و الشيوخ و كل من له علاقة بالدين.

– رسائل الشكوى رسائل يبعث بها إلى الأمل و الخلان ، لكن الوهراني كان يرسلها إلى من تقرب منهم من الملوك و الوزراء لأنه كان بعيدا عن وطنه و كان يشكي همه وكربه لهم.

– توظيف الوهراني لأسلوبه المشهور به ، أسلوب السخرية و الاستهزاز و التهكم.

– الشخصيات المرسل إليها شخصيات واقعية كالملوك و الأمراء و الشيوخ ، وهم من عاصرهم كالحافظ العليمي ، الأمير صلاح الدين الأيوبي، الأمير نجم الدين بن مصال ، عز الدين موسك، القاضي الفاصل الأثير بن بنان و غيرهم.

– بعض الشخصيات الموظفة في هذه الرسائل قد تكون من وحي خيال الوهراني كقسيم الأعور، أبو الفتح بن القابض ، أبو السعد البدليسي ، عثمان الجزكي ، أبو علي العواد.

– وصف الوهراني لنفسه بالعبد و أحيانا بالمملوك للتقرب من المرسل إليه ، خاصة في الرسائل المبعوث بها إلى من هم أعلى منه مرتبة.

– تنوع الأساليب الختامية في الرسائل من:

- رسائل مختتمة بعبارة " السلام" الدعاء، والأبيات الشعرية.
- طغيان عبارة السلام على معظم خواتم رسائله ، لأنها الأكثر قربا لنا من الملتقي.
- قلة الرسائل المختومة بالشعر.
- خواتم بعض الرسائل كانت مراعاة كحالته النفسية التي تريد من المرسل إليه أو البعد و النفور منهم.

ملخص البحث

قال الله تعالى في كتابه العزيز: " والقلم وما يسطرون" سورة القلم.

إن هذه الأية الكريمة هي أعظم شاهد على منزلة ومكانة الكتابة و جلال قدرها و سمو شأنها و المكاتبات كانت تطلق في القديم على الرسائل ، التي تنوعت بين الرسائل ديوانية، مختصة بديوان الإنشاء ، ورسائل إخوانية بين الأصدقاء و الخلان و قد أشتمل كتاب الوهراني " منامات الوهراني و مقاماته ورسائله" على أغلبها ، حيث تنوعت بين رسائل شوق وحنين ، ورسائل شكوى و لوم وعتاب ، ورسائل مدح وثناء و أخيرا رسائل هجاء.

وتكمن أهمية موضوعنا في الدراسة الفنية و الموضوعاتية للرسائل ، التي إعتمد كاتبها فيها على فن الاستهلال و أنواعه كبداية لها، وجميل اللفظ الفصيح البليغ المتأثر بالقرآن الكريم ، والفظ المستخدم في الحياة العامية ، والألفاظ الدخيل على اللغة العربية، ولا ننسى أيضا الجانب البلاغي للرسائل الذي وظف فيه الكاتب أهم المحسنات البديعية التي اعتمد عليها في تزيين علامه والأساليب البيانية التي وظفها الوهراني في التعبير عن عواطفه ، مبرزا الصفة الجمالية التي اتصفت بها الرسائل .

و هذه الرسائل كانت ترجمة و اقعية لمشاعر كاتبها و أحاسيسه لنصل في الأخير إلى أن رسائله كانت أحسن تعبيرا و أقوى دلالة على شخصيته و صدق أحاسيسه ومشاعره.

الكلمات المفتاحية

الرسالة ، ابن محرز الوهراني ، الدراسة الفنية ، الدراسة الموضوعاتية.

Abstract

God said in his dear book: "The pen and what they invoke" Al-Qalam.

This verse is the greatest witness to the status and status of writing and the majesty of his and his Highness and the correspondence was launched in the old on the letters, which varied between the letters Diwaniyah, specialized in the building, and letters of brotherhood between friends and Alkhlan and included the book Al-Wahrani " al-Wahrani and his sanctuaries and letters "on most of them, where they varied between letters of longing and letters of complaint and blame and repentance, and letters of praise and praise and finally letters satire.

The importance of our subject in the technical and thematic study of the letters, in which the author relied on the art of initiation and its types as a beginning, and the beautiful eloquent pronunciation eloquent affected by the Koran, and the term used in the colloquial language, and intrusive words on the Arabic language, do not forget also the rhetorical side of the messages, In which the writer the most important virtues, which relied on the decoration of the mark and the graphical methods employed by Al-Wahrani in the expression of emotions, highlighting the aesthetic character that characterized the messages.

And these messages were a real translation of the feelings of the author and his feelings to conclude that his messages were better expression and stronger sign of his personality and the truth of his feelings and feelings.

key words

Thesis, son of Mehrez al-Wahrani, technical study, thematic study.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

أولاً – المصادر:

1 إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط 5، 1996م.

2 إبن الكثير الجرزي: الكامل في التاريخ ، تحقيقّ : محمد يوسف الدقاق ، م 9 دار الكتب العلمية، لبنان ،بيروت، ط 1،2003.

3 أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدوداوي : كنز الدرر و جامع الغرز ، تحقيق ، إدوارد بدين، محمد السعيد ، جمال الدين ، جون هيلدجيراف أريكا بلسن دورتيا كرافوسكي ، صلاح الدين المجند، سعيد عبد الفتاح عاشور، أولدخ هارمان، هانس روبارت، ج 6، الناشر عيسى البابلي الحلبي، د ، ط 1982.

4 أبو بكر الخوارزمي: رسائل أبو بكر الخوارزمي، مطبعة الجوائب ،قسطنطينية ، ط 1، 1297هـ

5 أبو الحسن على بن بسام الشنتيري : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس ، القسم الأول، المجلد الأول، دار الثقافة، لبنان ،د ط، 1997م.

6 أبو عباس أحمد القشقلندي: صبح الأقسى في صناعة الانشاء، ج 1، مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر، القاهرة، د ط، 1922م.

7 أبو عباس أحمد القلقشندي : صح الأعشى في صناعة الانشاء ج 14، دار الكتب السلطانية، مطبعة الأميرة ، مصر القاهرة، دط، 1922م.

8 أبو عباس أحمد القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ج 6، دار الكتب السلطانية، مطبعة الأميرة ، مصر ، القاهرة، د ط، 1915م

9 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري ، دار ابن الكثير للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، بيروت ، ط1، 2002م.

10 – أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري : مجمع الأمثال ، ج 1 ، نشرة المعاونية الثقافية للأستانة الروضية المقدسة ، د ط ، 1344 هـ.

11 – أبو القاسم علي بن المحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق مجد الدين أبي سعيد عمر بن علامة العمري ، ج 2 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، د ط ، 1995 م.

12 – أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : الصناعتين الكتابة و الشعر ، تحقيق : محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، م 1 ، نشره عيسى البابلي الحلبي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 1 ، 1952 .

13 – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : القول في البغال ، تحقيق ستارل بيل ، دار الجبل ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1995 م.

14 – أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج 4، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، د ط، 1937 م.

15 – أحمد عبد الوهاب النويري : نهاية الأدب في الفنون و الأدب ، تحقيق : يوسف الطويل ، ج 10 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت.

16 – أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، ج 1 ، المكتبة التجارية ، مصر ، ط 7 ، 1969 م.

17 – بديع الزمان الهمذاني : رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني ، مطبعة هندية ، مصر ، ط 3 ، 1995.

18 – جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ج 2 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت.

19 – جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني الخطيب : التلخيص في علوم البلاغة ، شرحه : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط 1 ، 1967 م .

20 – جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني الخطيب التلخيص في علوم البلاغة ، شرحه : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط 1 ، 1900 م .

21 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني : منامات الوهراني ومقامته ورسائله ، تحقيق : ابراهيم سقلان ، محمد نفش ، منشورات الشمل ، كولونيا ، ألمانيا ، ط 1 ، 1998 م.

22 – صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : الوافي بالفويات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى ، ج 3 ، ج 4 ، دار الإحياء و التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، د ط ، 2001 م .

23 – عبد العزيز محمد عيسى : الأدب العربي في الأندلس ، مطبعة الإستقامة ، مصر ، القاهرة ، د ط ، 1945 م.

24 – عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، لبنان ، بيروت ، ط 2 ، 1976 م.

25 – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ، دار الفكر ، سوريا ، دمشق ، ط 4 ، دت.

26 – عمر فروج : تاريخ الأدب العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ، ج 3 ، دار الملايين ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1979 م.

27 – قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، 1980 م.

28 – كامل محمد عويضة : إبن رشيق القيرواني ، الشاعر البليغ ، ج 5 ،دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، 1980.

29 – محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن مهد المحبي جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ،1980 م.

30 – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، م 1 ، مكتبة لبنان بيروت ، د ط ، 1986 م.

31 – محمد كرد علي : رسائل البلغاء ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصطفى الباجي الحلبي ، ط 2 ، 1913.

ثانيًا – المراجع :

1 – ابن أبي الأصبع المصري : تحرير التحبير في صناعة الشعر و بيان إعجاز القران ، تحقيق ، حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ط 2 ، د ت.

2 – أبو سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، د ط ، 1996 م.

3 – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي ، سيرة أعلام النبلاء ، تحقيق : حسان بن المنان ، ج 1 ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، د ط ، 2000 م.

4 – أبو القاسم جاب الله محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1998 م.

5 – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : ديوان المعاني ، شرحه ، أحمد حسن ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بليروت ، ط 1 ، 1994 م.

6 – أحمد الشايب : الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 8 ، 1991.

7 – أدريان غللي: ثقافة أدب الرسائل في المجتمع الاسلامي قبل العصر الحديث ، ترجمة : وليد شحادة ، العبيكان للنشر ، الإمارات ، د ط ، 2011.

8 – بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناقم : المصباح في المعاني و البيان و البديع ، تحقيق : حسين عبد الجليل يوسف ، مكتبة الأداب ، القاهرة ، ط 1 ، 1989م.

9 – جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تقوى يروي : النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر و القاهرة ، الجزء 6 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1992 م.

10 – جمال الدين محمد بن سالم بن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين السباك ، ج 1 ، دار الكتب و الوثائق القومة ، د ط ، 1957 م.

11 – حسين عاصي : العماد الأصفهاني في حياته و عصره ، دار الكتب ، العلمية لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت.

12 – حسين ناصف : نشأة الكتابة الغنية في الأدب العربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د ط ، 2002 م.

13 – خالد ابراهيم يوسف : النشر العربي أيام المماليك ، دار النهضة ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، د ت.

14 – خالد كبير علال : الأزمة العقيدية بين الإستعارة و أهل الحديث خلال القرنين الخامس و السادس الهجريين ، دار الإمام مالك الأولى ، الجزائر ، البليدة ، ط 1 ، 2005.

15 – خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار الملايين ، لبنان ، بيروت ، ط 7 ، 1986 م.

16 – سلامة هليل عبد الغريب : صلاح الدين الصفدي كاتب دار جامد للنشر و التوزيع ، الأردن ، عمان ، ط 1 ، 2010 م.

17 – شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي شدرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، محمد الأرناؤوط.

18 – شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض تحقيق : سعيد أحمد عراب محمد تاويت ، ج 4 ، مطبعة لجنة التعريف و الترجمة و النشر ، صندوق إحياء التراث الاسلامي المشترك بين المملكة المغربية و دولة الامارات ، القاهرة ، د ط ، 1939م.

19 – شهاب الدين عبد الرحمان إسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي : الروضتين في أخبار الدولتين النويرية و الصلاحية ، ج 3 ، 4 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت.

20 – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : تهذيب سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، أحمد فايز الحمصي ، عادل مرشد ، ج 3 ، مؤسسة الرسالة ، لبنان بيروت ، ط 1 ، 1991م.

21 – شهاب الدين النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 23 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 2000 م.

22 – شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، ط 8 ، د ت.

23 – صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : أعيان العصر و أعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد ، نبيل أبو عشمة ، محمد موعد ، محمود سالم محمد ، قدمه : مازن عبد القادر المبارك ، ج 4 ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر ، سوريا ، دمشق ، ط 1 ، 1998 م.

24 – صلاح الدين المنجد : الوهراني و رقعة مساجد دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، د ط ، 1965 م.

25 – ضياء الدين بن الأثير : المفتاح المنشأ في حديقة الإنشاء ، تحرير : عبد الواحد حسن الشيخ ، مطبعة الإشعاع الفنية ، الاسكندرية ، ط 1 ، 1959 م.

26 – عبد الباسط قوادر : ابن رشد القفصي و اثاره العلمية ، الدار التونسية للكتاب ، تونس ، د ط ، 2011.

27 – عد الرحمن حسين حبنكة : البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها ، ج 3 ، دار القلم الشامية ، دمشق ، بيروت.

28 – عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال : نقد الشعر بين أبي قتيبة و ابن طبابة العلوي ، مطبعة دار القران ، د ط ، د ت.

29 – عبد العزيز عتيق علم البديع ، دار النهضة العربية ، لبنان بيروت ، د ط ، د ت.

30 – عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، لبنان ، بيروت ، ط 2 ، 1976.

31 – عبد العزيز محمد عيسى : الأدب العربي في الأندلس مطبعة الاستقامة ، مصر ، القاهرة ، د ط ، 1945.

32 – عز الدين اسماعيل : التفسير للأدب مكتبة غريب و دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ط 4 ، د ت.

33 – عمر بن قتيبة : فن المنامة في الأدب العربي ، دار الثقافة ، الجزائر ، ط 1 ، 2002.

34 – عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ، ج 3 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1979 م.

35 – علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام – الجاهلية ، الدولة العربية ، الدولة العباسية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 3 ، د ت.

36 – غانم جوادرها الحسن : الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة من العراق و المشرق الاسلامي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 2011 م.

37 – فايز عبد النبي فلاح القيسي : أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، دار البشير ، الأردن ، عمان ، ط 1 ، 1989.

38 – القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتنبي و خصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، على محمد البجاوي ، المجلد 1 ، مطبعة عيسى البابلي الحلبي و شركائه ، القاهرة ، د ط ، 1960 م.

39 – محمد أمين بن فضل الله المحبي المنفي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، تحقيق : محمد حسن اسماعيل ، ج 3 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، دط ، 1971 م.

40 – محمد بن أحمد الخطيب الستريني المصري : تفسير الخطيب الستريني ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، ج 4 ، دار الكتب العلمية لبنان ، بيروت ، د ط ، 1971 م.

41 – محمد بن الحسن الحر العالمي : الفصول المهمة في أصول الأمة ، تحقيق : محمد بن محمد الحسين القاتين ، ج 3 ، مؤسسة معارف إسلامي ، إمام رضا ، د ط ، 1418 هـ.

42 – محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمان الكتيبي : فوات الوفيات ، تحقيق : علي محمد معوّض ، عادل أحمد عبد الوجود ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت.

43 – هاشم أبو خمسين : تفسير البسملة ، مكتبة النرجس ، د ط ، د ت.

ثالثًا/المعاجم:

1 – ابراهيم أنيس عبد الله الحليم المنتصر ، عطية الصوالي ، محمد خلف الله أحمد ، المعجم الوسيط ، المجلد 1 ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر الطبعة 4 ، 2004.

2 – ابراهيم مصطفى أحمد الزيات ، حماد عبد القادر ، محمد النجار : المعجم الوسيط ، المكتبة الاسلامية ، تركيا ، اسطنبول ، الطبعة الثانية ، د ت.

3 – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، المجلد الرابع ، دار الثقافة ، بيروت ، د ط ، دت.

4 – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله ، علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، المجلد 3 ، الجزء 17 ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، د ط ، د ت.

5 – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بنأحمد الزمخشري ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشرق الدولية ، مصر ، ط 4 ، 2004.

6 – أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، مكتبة لبنان ناشرون لبنان ، بيروت ، ط 2 ، 2007 م.

7 – أدي ستير : الألفاظ الفارسية العربية ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، ط 2 ، 1987 – 1988م.

8 – إيميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في اللغة و الأدب ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1987 م.

9 – داوود عمر الأنطاكي : تذكرة أولى الألباب و الجامع للعجب و العجباء ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، 1971 م.

10 – شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي : معجم البلدان ، دار صادر ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت.

11 – عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة ، لبنان ، بيروت ، د ط ، د ت.

12 – عفيف البهنسي : مصطلحات الخط العربي و الخطاطين ، مكتبة لبنان ، لبنان ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، دت.

13 – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي : القاموس المحيط ، تحقيق : مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، ط 8 ، 2008 م.

14 – محمد بن اسحاق النديم : الفهرس في أخبار العلماء و المصنفين من القدماء و المحدثين و أسماء كتبهم ، تحقيق : رضا المازنداوي ، م 1 ، دط ، دت.

15 – يسري عبد الغني عبد الله : معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، د ط ، دت.

رابعًا / المجلات :

1 – خالد الحلبوي : الرسائل النثرية في العصر العباسي ، مجلة جامعة دمشق ، كلية الاداب و العلوم الانسانية جامعة دمشق ، العدد الأول و الثاني ، 2009.

خامسًا / الرسائل

1 – غانم جواد رضا الحسن : الرسائل الأدبية في القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه ، كلية الأداب ، جامعة بغداد ، إشراف الدكتور يونس أحمد السامرائي ، 1425 هـ ، 2005 م.

سادسًا / المواقع الإلكترونية

1 – ثُريا بدوي : شعر على هامش الشعور ، الحوار المتمدن ، 03-08-2014 ، تاريخ الزيارة ، 06-04-2019 الساعة 10:23

فهرس الموضوعات

الموضوعات **الصفحة**

المقدمة.....**أ–ت**

المدخل : مفهوم الرسالة و تصنيفاتها.....

1 – توطئة..... **4**

2 – مفهوم الرسالة..... **5**

أ – المفهوم اللغوي..... **5–7**

ب – المفهوم الاصطلاحي..... **7–9**

3 – تصنيف الرسائل..... **9**

أ – الرسائل الديوانية..... **9 – 10**

ب – الرسائل الاخوانية..... **11 – 13**

ج – الرسائل الدينية..... **13 – 15**

د – الرسائل الوصفية..... **15 – 16**

الفصل الأول: ابن محرز الوهراني حياته و أثاره.....

المبحث الأول:حياة الوهراني و هجرته.....**17**

أولاً : ميلاده و نشأته.....**17–18**

ثانيًا : مسار هجرته.....**19**

أ – هجرته إلى القيروان.....**19**

ب – هجرته إلى صقلية.....20
ج – هجرته إلى مصر.....21
د – هجرته إلى بغداد.....22
هـ – هجرته إلى الشام.....23-24
المبحث الثاني:أسلوبه النثري و أثاره الأدبية.....25
أولاً : الأسلوب النثري.....25
ثانيًا : الآثار الأدبية للوهراني.....26
1 – المخطوطات المعتمدة في تحقيق كتاب " منامات الوهراني و مقاماته و رسائله".27
أ – مخطوط اسطنبول.....27
ب – مخطوط القاهرة.....27
ج – مخطوط برنستون.....27
د – مخطوط مجموع منامات و مقامات و رسائل الوهراني.....27
هـ – مخطوط الكنز المدفون و الفلك المشحون.....28
2 – فن المقامات الأدبيّة.....28
أ – المقامة البغدادية.....29
ب – المقامة الصقلية.....29
ج – مقامة في شمس الخلافة.....29
د – المقامة المسجدية.....29
3 – فن المنامات و الخطب و الرسائل 30-31
الفصل الثاني: الدراسة الفنية و الموضوعاتية لرسائل الوهراني.....
المبحث الأول:الخصائص الفنية لرسائل الوهراني.....32
أولاً : البناء الهيكلي للرسالة.....32
أ – الاستهلال.....32

أ – 1 : الاستهلال بالدعاء.....33
أ – 2 : الاستهلال بالبسملة.....36
أ – 3 : الاستهلال بالحمدلة.....43
أ – 4 : الاستهلال بالشعر.....47
ب – المتن.....52
ب – 1 : حسن التخلص.....52
ب – 2 : بنية الألفاظ.....56
أ – الألفاظ الدالة على الحالة النفسية.....57
ب – أثر القران في الألفاظ.....58
ج – الألفاظ العامية.....61
د – الألفاظ الغريبة الغير عربية.....62
د – 1 الألفاظ الفارسية.....63
د – 2 الألفاظ اليونانية.....65
ج – خواتم الرسائل.....68
ج – 1 الختام بعبارة السلام.....69
ج – 2 الختام بالدعاء.....73
ج – 3 الختام بالشعر.....75
ثانيًا : المحسنات البديعية.....78
أ – السجع.....78
ب – الجناس.....81
د – الطباق.....88
ثالثًا : الصور البيانية.....91
أ – الصور التشبيهية.....91
ب – الصور الاستعارية.....92
ج – الصور الكنائية.....94

المبحث الثاني:الموضوعات المتناولة في الرسائل.....97
1 – الرسائل الإخوانية :.....97
أولاً : رسائل الشوق :.....97
1 – رسالة شوق إلى مجد الدين بن عبد المطلب وزير تقي الدين.....98
2 – رسالة شوق إلى شمس الدين البعلبكي.....101
3 – رسالة شوق إلى ابن الشهرزوري.....103
4 – رسالة شوق إلى نجم الدين بن مصال.....108
ثانيًا : رسائل الشكوى :.....111
1 – رسالة إلى القاضي الأثير بن بنان.....111
2 – رسالة شكوى إلى شمس الدين البعلبكي.....113
3 – رسالة شكوى إلى الأمير عز الدين موسك على لسان بغلته.....115
ثالثًا : رسائل المدح :.....121
1 – رسالة إلى القاضي الفاضل.....121
2 – رسالة إلى الناصر صلاح الدين.....122
3 – رسالة إلى القاضي الأثير بن بنان.....123
رابعًا : رسائل الهجاء :.....124
1 – رسالة إلى قاضي الفاسقين.....124
2 – رسالة إلى عبد الحليم الواعظ.....125
3 – رسالة إلى أبي القاسم الأعور.....126
2 – الرسائل الوصفية :.....127
1 – عشرة أشياء من أبواب الشر.....127
2 – رسالة في الطير.....130